حبّ الوطن العراقي، صورته ورموزه في شعر يحيى السماوي

أ.م.د. مهدي شاهرخ
قسم اللغة العربية وآدابها/جامعة مازندران/إيران
(الكاتب المسؤول)
m.shahrokh@umz.ac.ir

أ.م.د. سليمان سادات اشكور
قسم اللغة الفارسية وآدابها/الجامعة الإسلامية الحرة فرع دهدشت/إيران
sadatsoliman@gmail.com

م.د. علي بابايي دمطسوج
قسم اللغة العربية وآدابها/جامعة ياسوج/إيران
babaei.ali88@yahoo.com

(مُلَخَّصُ البَحث)

يتلقّى كلّ أديب عادةً عناصر فكره وإحساسه من البلاد التي عاشها بكل ما فيها من الأفراح والأحزان. نشأ الشاعر العراقي المقاوم يحيى السماوي في أحضان البيئة العراقية وأدرك ظروفها السياسية والأمنية المتأزمة والمريرة عن كثب فجاء شعره شعراً وطنياً خالصاً يحثّ أبناء شعبه للنهوض والثورة أمام النظام الصدامي قبل ٢٠٠٣م وضدّ المحتل الأجنبي بعده. هذا المقال يدرس حبّ الوطن وصورته ورموزه في شعر السماوي معتمداً على المنهج الوصفي التحليلي. يشير نتائج البحث أنّ البيئة العراقية هي الباعثة الأولى لشعر الشاعر الحركي السياسي حيث تتمتع أشعاره الوطنية بصدق العاطفة ويصيح فيها من تلافيف صدره لينعكس في شعره وطنه العراقي وقضاياه وآلام شعبه وآمالهم ومشاكلهم، لذلك في شعره الكثير من الرموز العراقية التي يعبّر من خلالها المؤامرات السياسية التي تحيكها لبلاده أيادي المستبد الداخلي والمستعمر الأجنبي كما يكثر من استخدام الرموز العراقية خاصة النخيل والمدن العراقية الشهيرة مثل العاصمة بغداد وغيرها، وأنهار دجلة والفرات، وكبار الشخصيات التراثية لاسيّما الإمام الحسين (عليه السلام) رمز الثورة ضدّ الطغاة عنده. رغم تجسيد إزدواجية في شعره بسبب حبّه وحنينه إلى الوطن والتشرد والقطون في دول النفي والاغتراب لكنها لا تترك أثراً سلبياً في صدق عاطفته تجاه الوطن.

الكلمات المفتاحية: (العراق، حبّ الوطن، يحيى السماوي، الرموز العراقية)

١ – توطئة:

لا شك أنّ البيئة والمكان يؤثران على أفكار كلّ إنسان ومعجم كلماته. الإنسان يحبّ الأرض التي وُلد أو ترعرع فيها دوماً. لذلك المكان يرتبط بروح الإنسان فبالتالي أعمال كلّ فنّان أو أديب مظهر لتجلّي ميزات مسقط رأسه كأنّ المكان قسم لايتجزأ من روحه وجسده. كما أنّه لا شك أنّ الفصل الظاهري بين المرء وأرضه لم يقلّل من إحساسه تجاه وطنه.

١-١- دور الأمكنة في شعر الشعراء

المكان في شعر وسيلة للتعبير عن المؤثرات على حياة البشر ومشاعره وأحاسيسه الداخلية طيلة الأزمنة المختلفة لذلك يهدف إلى الجانب الروحي والمعنوي أكثر بكثير. المكان أحد العناصر الشعرية التي اهتم بها الشعراء منذ أزمان متوغلة في القدم إلى يومنا هذا اهتماماً كبيراً فالشعراء الجاهليون ذكروا أسماء أماكن لهم تجارب فيها أو يتشوقون إليها فوقفوا وبكوا على أطلال هذه الأماكن ودمنها فلذلك المكان والموقع الجغرافي قضية تحظى بأهمية قصوى لدى الشعراء لأنّه من العناصر الشعرية العامة والهامة لأنّ الشعراء لتصوير ذكرياتهم وأحداثهم ووقائعهم للمتلقي بحاجة ماسة إلى عنصر المكان لذلك المكان يظهر في الشعر وبدونه يُصاب الشعر بداء الملل والتشتت والاضطراب ويختلّ بعض ميزات الشعر بدونه. وهكذا يعتقد النقاد أنّ للبيئة دور بارز في حفز القرائح وشحد الشعور وإثارة الوجدان، كما أنّ لكل بيئة سماتها الخاصة بها التي تظهر آثارها على شعرائها، فتنطبع صورها في نفوسهم، وتلعب دورها في تحريك أحاسيسهم. يقول طه حسين: «والظاهرة التي لا شك فيها أنّنا إذا نظرنا إلى البلاد الإسلامية في العصر العباسي وجدنا أنّ الشعر كان موجوداً في بعض الأقاليم وكان مزدهراً، ولكنه لا يكاد يوجد في الأقاليم الأخرى. هو موجود مزدهر في الحجاز وفي العراق باديته وحاضرته وهو متواضع متوار في الشام إذ لا يكاد يوجد في الشام إلا شاعر أو شاعران، والشعر الذي نجده أو نسمعه في الشام في العصر الاموي إنما هو شعر يحمل إليه من الأقاليم الأخرى» (حنا الفاخوري، ١٣٩١ش: ٦٩-٧٠) وهذا الكلام يدلّ بوضوح أنّ بعض الأمكنة التي يزداد فيه عدد الشعراء كان بيئة حاضنة لتربية شعراء جدد وهكذا للمكان أهميته في رواج سوق الشعر أيضاً. كما أنّ ابن سلام تنبّه لكل مظاهر هذا الإختلاف بين البيئات حين صنّف الشعرا، حسب بيئته وكان يقصد بالبيئة مجموعة العوامل الطبيعية والسياسية والاجتماعية التي تحيط بحياة الشاعر والتي توثر في نفسيته ومزاجه تأثيراً ملحوظاً (ابن سلام الجمحي، ٢٠٠١م: ٢١٥/١) فيبدو أنّ ابن سلام هو أول من لاحظ من بين النقاد العرب أثر البيئة في الخصائص الفنية للشعر. (المصدر نفسه)

المكان في تعريفه العام يدلّ على الأرض التي يُولد الإنسان ويترعرع فيها. فهذا المكان يختلط بروح الإنسان إلى الأبد ويؤثر على أفكاره ونطاق مفرداته وتعابيره دون أي شك. ولكن علاقة الإنسان بمكان عيشه علاقة مبدعة وليست موروثة إذ المراد بالمكان هنا جميع العناصر الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية والبحور والأنهار والمعالم الطبيعية والمستحدثة. فعلى هذا الأساس يمكننا القول أنّه «ينطلق المبدع فيما يكتب من موقع جغرافي خاص به، ويكتسب هذا الموقع عنده سمات خاصّة تميّزه عن غيره من المواقع والأماكن، وغالباً ما يرتبط المبدع بعلاقات حميمة بالمكان الذي نشأ وترعرع فيه، وتنعكس هذه

العلاقات فيما يبدع، كما يؤثر المكان في خطاب المبدع؛ فالشاعر يستحضر صوره الشعرية من كلّ ما هو ماثلٌ في المكان الذي أحبّه وإرتبط به ارتباطاً مشيمياً، ويستحضر القاصّ شخوصه وأحداث قصته أو روايته مما يحيط به، فالمكان –الوطن– بجمالياته ودلالاته وإيحاءاته وإيماءاته هو من أهمّ العناصر التي تسهم إسهاماً عظيماً في تشكيل العمل الإبداعي ونسجه وبنائه، ولذلك فإن المكان –الوطن– يصبح عند المبدع هويّة تاريخيّة ووطنيّة ونفسيّة واجتماعيّة وثقافيّة» (حسام التميمي، ٢٠٠٢م: ٢٢٤) فالمكان يحمل معه الشكل والفحوى بسببين وهما: أولاً المكان يحوّل إلى أدبية الكلام وشعرية اللغة شاء الشاعر أم أبى وثانياً أنّ الشاعر يريد من خلال نصّه الشعري أن يوصل مضموناً يحمله في داخله إلى المتلقي ويقوم بذلك بإعطاء فحواه المقصود لمفرداته المكانية. إضافة إلى ذلك، للمكان قوة كبيرة في تعريف الشخصيات. لأنّ القراءة السيميائية للمكان تظهر لنا ميزات الشخصيات لذلك يمكن اعتبار المكان إطاراً يبني بنيانه اعتماداً على ميزات الشخصيات.

١-٢- يحيى السماوي وشعره

السماوي شاعر عراقي معاصر نذر عمره وشعره لخدمة الأمة العربية والإسلامية كما كتب مقالات سياسية واجتماعية عدّة، له فيها وجهات وتعليقات سياسية رائعة تنمّ عن وجهات نظره البارزة والعالمية لذلك السماوي لا يكون شاعراً فحسب بل محلّل سياسي وكاتب وناقد متجدّد (فاطمة رجبي سمنگاني، ١٣٩٢ش: ١٨) «يحيى عباس عبود السماوي وُلد عام ١٩٤٩م في مدينة السماوة بالعراق وأنهى تعليمه الابتدائي والثانوي فيها» (محسن غلامحسن كهوري، ٢٠١٣م: ٢٤٨) ثمّ «أكمل تعليمه الجامعي في بغداد فدخل الجامعة المستنصرية وتخرّج في كلية الآداب عام ١٩٧٤م وعمل بعد تخرّجه في التدريس والصحافة» (خضير عباس درويش، ٢٠١٤م: ١٧) بدأ ينشد الشعر منذ وقت مبكر ثمّ عمل بالتدريس والصحافة والإعلام. كما عانى من الملاحقة والحصار من قبل البعثيين في النظام الصدامي لأسباب سياسية حتى «اشترك عام ١٩٩١م في الانتفاضة الشعبية ضدّ نظام صدام حسين وإثر فشل الانتفاضة لجأ الشاعر الى السعودية، حيث أقام فيها ستّ سنوات عمل خلالها رئيساً للقسم السياسي والثقافي في إذاعة "صوت الشعب العراقي" المعارضة للنظام البعثي العراقي التي كانت تُبثّ من جدة» (فاطمة القرني، ٢٠٠٨م: ٢٩ و٣٠). فبعد أن هاجر من العراق إلى السعودية عام ١٩٩١م «استقرّ في جدّة حتى سنة ١٩٩٧م يعمل بالتدريس والصحافة ثم انتقل مهاجراً إلى استراليا عام ١٩٩٧م وبها يقيم حتى كتابة هذه السطور» (محسن غلامحسن كهوري، ٢٠١٣م: ٢٤٨)

السماوي رغم إقامته في تلك الديار المتطورة ولكنه لم ينس مشاكل المسلمين والوطن العربي قطّ بل يعبّر بلسان الشعر والأدب كوارث وطنه ومصائب شعبه بسبب الدمار والدكتاتورية كما يذكر آلام الشعب العراقي تحت الاحتلال الأجنبي وظلم دعاة الحرية الذين انتهك نظامهم العالمي الجديد حقوق الإنسان (فاطمة رجبي سمنگاني، ١٣٩٢ش: ١٨) «نُشرت قصائده في مجلات عربية وأجنبية. شارك في المهرجانات الأدبية والشعرية العربية والعالمية ثم كتبت عنه الدراسات والمؤلفات النقدية والأكاديمية وصدرت له أربع وعشرون مجموعة شعرية طوال خمسين عاماً من عمره من عام ١٩٧٠ حتى عام ٢٠١٨م» (خالدة علي فليح حسن الكعبي، ٢٠١٩م: ١٧٤٦-١٧٤٧)

١-٣- هدف البحث ومنهجه وأسئلته

يهدف هذا المقال - معتمداً على المنهج الوصفي التحليلي - دراسة صورة البئية العراقية في قصائد الشاعر المقاوم يحيى السماوي. هذا الشاعر الكبير الذي ترعرع في العراق وذاق عطور مدنه عن كثب وشرب الفكر العراقي وتقاليده من معينه العذب فلم يصمت أمام الظلم الذي يمارس ضدّ وطنه وأرضه بل يقاومهم بسيف بلاغة قصائده. السماوي شاعر عصري متجدّد يعرف الفكر الغربي ما ظهر منه وما بطن ولكنّه يمزج بين التجدّد والشعر الحرّ والواقعية حيث يُظهر في قصائده حوادث العراق وكوارثه بعلمه السياسي العميق فهو - كما يتراءى لنا في أشعاره - عالم سياسي ملمّ بجميع خفايا عالم السياسة وكواليسه. فهو ينذر الأجانب لتدخلهم وتغلغلهم في الشأن العراقي وقضايا دول المنطقة. كما يعمد إلى ترميز المدن العراقية وأنهاره وأرضه وثقافتها كي يخلق معان مبدعة في إطار الشعر الحرّ ذي طابع واقعي لكي يخلد أفكاره وأحاسيسه الوطنية في كنوز الأدب والشعر المعاصر. وللوصول إلى هذا الهدف البحث أمام الأسئلة التالية:

١- ما مدى وطنية الشاعر يحيى السماوي وحبّه للوطن المنعكس في قصائده؟

٢- ما هي الرموز العراقية المستخدمة من قبل الشاعر للتعبير عن حبّه للوطن العراقي؟

٣- ما هو هدف الشاعر من ترميز هذه الرموز الوطنية في قصائده؟

١-٤- الدراسات السابقة

هناك دراسات تتناول قصائد الشاعر بالبحث الأدبي والنقدي وهي:

الف) الكتب:

كتاب ***إشكالية الحداثة في الشعر السياسي: يحيى السماوي أنموذجاً*** " من تأليف حسين سرمك حسن؛/وكتاب ***العشق والاغتراب في شعر يحيي السماوي*** " كتبه محمد جاهين

بدوي؛/وكتاب ***"الشعر العراقي في المنفى السماوي نموذجاً"*** بقلم فاطمة القرني/وكتاب ***"موحيات الخطاب الشعري، دراسة في شعر يحيى السماوي"***/وكتاب ***"الآفاق الشعرية دراسة في شعر يحيى السماوي"*** ألّفهما عصام شرتح/وكتاب ***"تجليات الحنين في تكريم الشاعر يحيى السماوي"*** بقلم ماجد الغرباوي. فهذه الكتب تحاول دراسة التجربة الشعرية السماوية من خلال دراسة نصوصه الشعرية لكي يمكنها التغلغل في خفايا قصائده.

ب) الرسائل والأطاريح الجامعية:

رسالة دكتوراه بعنوان ***"توظيف الموتيف في شعر يحيى السماوي"***، ١٣٩١ش، كتبها رسول بلاوي، تحت إشراف مرضية آباد، كليه الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة فردوسي مشهد./أطروحة ماجستير ***"الاقتباس من القرآن الكريم في ديواني "شاهدة قبر من رخام الكلمات" و"نقوش على جذع نخلة" من أعمال يحيى السماوي"***، (فاطمة رجبي سمنگاني،١٣٩٢ش، بإشراف يحيى معروف جامعة رازي بكرمانشاه)//أطروحة ماجستير ***"دراسة الحب في قصائد يحيى السماوي وأحمد عزيزي دراسة مقارنة"***، (١٣٩٤ش، سامان خاني، بإشراف: يحيى معروف، جامعة رازي بكرمانشاه)/أطروحة ماجستير ***"دراسة أسلوبية في شعر يحيى السماوي ديوان نقوش على جذع النخلة نموذجاً"*** (بهنام باقري، ١٣٩٠ش، بإشراف يحيى معروف جامعة رازي بكرمانشاه)./أطروحة ***"مفاهيم المقاومة في شعر يحيى السماوي"*** (ليلا جباريكيلانده، ١٣٩٠ش، بإشراف: عبدالأحد غيبي بجامعة الشهيد مدني بأذربيجان)./أطروحة ماجستير ***"مضامين المقاومة في شعر يحيى السماوي وقيصر أمين‌بور"***، (١٣٩٢ش، حديث تنگسياب، بإشراف: يحيى معروف، جامعة رازي بكرمانشاه)./أطروحة ماجستير ***"مقارنة مظاهر المقاومة في قصائد يحيى السماوي ونصرالله مردانی"***، (١٣٩٢ش، رضا حيدري، بإشراف: صغرى فلاحتي جامعة الخوارزمي بطهران)

ج) المقالات:

مقال ***"التناص القرآني في شعر يحيى السماوي"***، (بلاسم محسني، مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها، ١٣٩٢ش، رقم ٢٧)/مقال ***"موتيف استدعاء الشخصيات التراثية في شعر يحيى السماوي"***، (رسول بلاوي، وعلي خضري ومرضية آباد، مجلة الأدب العربي بجامعة طهران. خريف وصيف ١٣٩٣ش، رقم١)/مقال ***"موتيف الاغتراب في شعر يحيى السماوي"***، (رسول بلاوي ومرضية آباد وعباس طالب‌زادة وعباس عرب. مجلة دراسات في العلوم الإنسانية، خريف ١٣٩١ش. رقم ٣)./مقال ***"دلالات الألوان في شعر يحيى السماوي"***، (مرضية آباد ورسول بلاوي، مجلة إضاءات نقدية، ١٣٩١ش، رقم ٨)./مقال ***"مظاهر المقاومة في قصائد يحيي السماوي"***، (رسول بلاوي ومرضية آباد، ٢٠١٤م، المجلد١٧، العدد١، الرقم المسلسل للعدد٣٣)/مقال ***"دور القرآن والموروث الديني***

في قصائد يحيى السماوي المقارعة للاستعمار " (مهين حاجي‌زاده ومحدثه ابهن، مجلة الأدب الديني، العدد٣)/مقال "***موتيف أبوذر الغفاري في شعر يحيى السماوي***"، (مرضية آباد ورسول بلاوي، ١٣٩١ش، مجلة دراسات الترجمة في اللغة العربية وآدابها بجامعة العلامة طباطبائي بطهران، المجلد٢، رقم٤).مقال ***توظيف الفكاهة في شعر المقاومة المعاصر شعر يحيى السماوي أنموذجاً***". (فاروق نعمتي، المؤتمر الوطني لأدب المقاومة والفن، ٢٨شهر ١٣٩٤ش)/مقال ***نقد مجتمع العراق المحتل في شعر يحيى السماوي***"، (محمد اعتمادي، ومراد علي ولد نيك المؤتمر االوطني للأدب المقاوم والفن، ٢٨ شهر تير١٣٩٤ش)/مقال "***الاحتلال في الشعر العراقي المعاصر منذ ٢٠٠٣ إلى ٢٠١٠م***"، (علي نظري والزملاء، ١٣٨٩ش، مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها، رقم ١٦)/مقال ***استدعاء شخصية الإمام الحسين (ع) في شعر يحيى السماوي*** " (رسول بلاوي ومرضيه آباد، صيف١٣٩٢ش، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، المجلد٩، العدد٢٧)/مقال "***عناصر الموسيقى في ديوان نقوش على جذع نخلة ليحيى السماوي***" (يحيي معروف وبهنام باقري، ربيع ١٣٩١ش، دراسات في اللغة العربية وآدابها، المجلد٣، العدد٩).مقال "***يحيى السماوي مظهر مقارعة الولايات المتحدة في الشعر العراقي المعاصر***" (١٣٩٣ش، عبدالأحد غيبي وليلا جباري، مجلة نقد الأدب العربي المعاصر، جامعة يزد، السنة٤، الرقم المسلسل للعدد ٨).مقال"***سيمانطيقيا اتساق الخطاب مع تحليل قصائد من ديوان أطفئيني بنارك للشاعر يحيى السماوي***"، (باسم خيري خضير، مجلة أوروك، المجلد٨، العدد٤، ٢٠١٥م)/مقال ***التداخل النصي في شعر يحيى السماوي (دراسة في ديوان شاهدة قبر من رخام الكلمات)***"، (عبدالحسن علي مهلهل وعادل راضي الزركاني، مجلة واسط للعلوم الإنسانية، المجلد١٢، العدد٣٣، ٢٠١٦م)/مقال "***مجموعة شاهدة قبر من رخام الكلمات ليحيى السماوي دراسة أسلوبية بلاغية***" (محمد نبي‌أحمدي ويحيى معروف ومصيب قبادي، مجلة أدب عربي جامعة طهران، السنة٩، العدد١، ١٣٩٦ش)/مقال "***مظاهر النهضة الدينية في قصائد يحيى السماوي***" (صلاح‌الدين عبدي ومدينة كريمي، مجلة نقد أدب عربي، العدد٧، ١٣٩١ش)/مقال ***دراسة جمالية التكرار في ديوان قليلك لا كثيرهن ليحيى السماوي***" (يحيى معروف ونورالدين بروين، مجلة إضاءات نقدية، السنة ٤، العدد ١٦، ٢٠١٤م)/مقال ***توظيف التراث التاريخي في شعر يحيى السماوي***"، (يحيى معروف وبهنام باقري، فصلية اللسان المبين (بحوث في الأدب العربي)، السنة٧، العدد٢٣، ربيع ١٣٩٥ش)/مقال ***الرموز التراثية في شعر يحيى السماوي***" (محسن غلامحسن كهوري، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، المجلد١٦، العدد٣، ٢٠١٣م)/مقال ***المكان فاعلاً شعرياً عند يحيى السماوي***"، (خالدة علي فليح حسن الكعبي، مجلة أوروك للعلوم الإنسانية،

المجلد١٢، العدد٢، ٢٠١٩م)/مقال ***استدعاء المدن في شعر يحيى السماوي***" (رسول بلاوي ومرضية آباد، ١٣٩١ش، فصلية الأدب المقارن بجامعة رازي بكرمانشاه، السنة٢، رقم٦) حيث يؤكد المقال أنّ يحيى السماوي من أبرز الشعراء المعاصرين الذين يهتمون بالمدينة ثمّ يدرس استدعاء المدن وبعض رموز المدن في شعر السماوي ويستنتج أنّ كلّ هذه المدن يعبّر عن رمز وتمثيل للشاعر في تعزيز أهدافه الأدبية والتعبير عن أحاسية الشعرية./مقال "***موتيف النهر والبحر في شعر يحيي السماوي***"، (رسول بلاوي ومرضية آباد، ربيع ١٣٩٢ش، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية، العدد١)

ولكن كما يبدو رغم إشارة بعض المقالات المذكورة أعلاها ببعض رموز الوطن العراقي مثل بعض المدن والأنهار لاسيما في المقالات الثلاث الأخيرة التي استفدنا منها ولكنها لم تدرس حبّ الوطن والوطنية ورموز الوطن العراقي في شعر يحيى السماوي وبيان تأثير وطنية الشاعر وحبّه لوطنه في ترميز هذه الرموز العراقية في شعره والتعبير عن حبّه الجمّ تجاه وطنه وشعبه فهذا هو الذي يدرسه هذا المقال.

٢- حبّ الوطن العراقي عند السماوي

يعدّ الشاعر يحيى السماوي من أبرز الشعراء الحداثة يحبّ وطنه ومتفائل تجاه مستقبل العراق حيث يصوّر هذا التفائل وروعة رؤيته من خلال ريشة خياله الخلّاب بتكرار لوحات شعرية تعبّر عن لوعته وحنينه البالغ تجاه العراق:

«مُتَفائِلٌ/رَغمَ المَشانِقِ وَالحَرائِقِ/وَاجتِياحِ السُّلِ وَالطّاعُونِ/وَالقَهرِ المُبَرمِجِ/رَغم هذا اللَّيلِ وَالكَابُوسِ/وَالعَيشِ الزُؤامِ/مُتَفائِلُ أنَّ الغَدَ الآتيَّ سَيَشهدُ/*/وَأنَّ حَبِيبَتِي بَغدادَ سَوفَ تَعُودُ ثانِيَةً/كَمَا كانَت تُسَمَّى/فِي قَوامِيسِ المَدائِنِ وَالهَوى دارَ السَّلام»** (يحيى السماوي، الأفق نافذتي، ٢٠٠٤م: ١٨٠و١٨١)

الشاعر «قد استدعى واقع وطنه العراق في شعره، فاحتضن مدنه وبلداته وقراه الفقيرة وأحياءه البائسة التي يعشعش فيها الجوع والفقر والمرض والثورة ذكرها في شعره، واستشهد بها وسجّل معاناتها وناداها وتغنّى بأصالتها وجمالها وضرب الأمثلة بصمودها وصبرها وأحزانها» (رسول بلاوي ومرضية آباد، ١٣٩١ش/٢٠١٢م: ١٢١) ولكن في نفس الوقت، برؤية المأساة التي يواجهه هذا الوطن الجريح المتمزّق تبلغ هموم الشاعر ذروته وتظهر آلامه وصعوباته كلّها فيشير إلى جريمة احتلال الكويت من قبل صدام كما يشير إلى جرائم القوات المحتلة في هدم المدن العراقية على رؤوس ساكنيها بذريعة البحث عن الإرهابيين كما يشير في نفس الوقت إلى الذين يشوّهون وجه المقاومة الوطنية الناصعة بجرائمهم الشنيعة فهو يتحدث عن الحاكم العربي المعجب بنفسه الذي يؤامر لإغتيال قادة العرب إذ لكثرما رأى قادة العرب سبباً رئيساً لانهيار الشعوب واحتلال الدول والأوطان وربّما خير مثال له نظام

صدام حسين في العراق. إذ أنّ الظروف الأمنية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية المأساوية التي أوجدها في العراق كان خير ذريعة للمحتلين الأمريكان أن يحتلّوا العراق بذريعة الإطاحة بنظام صدام الظالم العميل فبين هذه القضايا الوطنية المليئة بالحزن والهموم يتحدّث السماوي عن العراق مدنه وأنهاره وطبيعته وأنّ دنس تواجد المستعمرين والمتطرفين أدّى إلى خراب المدن والمزارع والمعالم الطبيعية العراقية وقتل العراقيين الأبرياء يومياً فلذلك طبيعة العراق التي وجدها السماوي قديماً خلّابة رائعة ويتشوق إليها تتحوّل إلى رمز الموت والعفن والضياع في هذه الظروف غير المؤاتية:

وَطَنٌ وَلكِن لِلفَجِيعَةِ...مَاؤُهُ قِيحٌ...وَأَمَّا خُبزُه فَنَحيبُ
مَسلُولَةٌ أَنهَارُهُ...وَمَهيضَةٌ أَطيارُهُ...وَنَخِيلُهُ مَصلُوبُ

(يحيى السماوي، هذه خيمتي.. فأين الوطن؟ ١٩٩٧م: ٨٦و٨٧)

رغم هذه المقاطع الحزينة، لنحن أمام كثير من المقاطع الشعرية التي يحنّ الشاعر إلى وطنه الجريح ويحبّه إذ لكثرة حبّه الوطن يقول السماوي في قصيدة "قليلك لا كثيرهن" أنّ العيد ليس مناسبة تقويمية بل العيد هو اليوم الذي يدخل أرض العراق وينهي غربته ويتنفّس في هواء الوطن:

العِيدُ؟ أن أُرسِي بِنَهرِكَ وَأريقَ فِي وادِيكَ دَمعَ

(المصدر نفسه: ٨٩و٨٧)

إنّ النظام الصدامي الظالم انهار منذ عام ٢٠٠٣م بيد أنّ السماوي الذي يشتاق كثيراً إلى العودة إلى وطنه يعتقد الآن أنّ العراق بعد ٢٠٠٣م ليس ذلك العراق الذي كان ينتظره لأنّ جميع خطابات رجال السياسة –الذين يسمّاهم الدراويش– حول الشرف الوطني والحرية والعدالة لم تر النور وما هي إلا مجرد أكاذيب لذلك يريد في قصيدته "خلّيك في منفاك" ألا تنشر أشرعة السفن التي توصله إلى حبيبه العراق لأنّه يفضّل البقاء في الغربة والمنفى بدل أن يخطو على وطن لا يطيق ضياعه وخرابه وتمزّقه:

«وَمَا الفائِدَةُ؟ لَدَيَّ الشِّراعُ...السَّفينَةُ.../لكِنَّما البَحرُ/لا مَاءَ فِي البَحرِ لا رِيحُ»

(المصدر نفسه: ٩٥)

كما ينشد في قصيدة "البكاء على كتف الوطن" نفس الفكرة قائلاً:

«لاتَنشُرِ الأَشرِعَةَ/البَحرُ بِلا مَوجٍ وَلا رِيحَ/سِوَى الآهات» (المصدر نفسه: ٥٥)

عنوان قصيدته "هذه خيمتي فأين الوطن" يشير إلى أنّه يفضّل أن يقيم خيمته في الغربة بدل العودة إلى بيت يمزّق فؤاده يومياً بسبب ظروف العراق المضطربة المأساوية. فهو في مكان آخر لا يرى أي أمل في العودة إلى العراق ويفضل أن يتحمّل همومه في الغربة:

«قَـدَّمتُ لِلبَحـرِ اسـتِقَالَةَ زورَقِي/فَاسـتَنكَرَ الطُّوفـانُ/وَاحتَجَّ الغَـرق» (يحيى السماوي، قليلك لا كثيرهن، ٢٠٠٧م: ٤٥)

فهذا المقطع الشعري يعبّر بوضوح المفارقة التي دخلت قلب الشاعر وتحوّلت إلى أحد ميزات الشخصية العراقية في عصرنا الحاضر. يقول يحيى السماوي: «حين أصبح العراق في ظلّ نظام صدام حسين غابة مشانق بعد ما كان بستان شعر وخيمة محبّة، الأمر الذي جعل الهروب من الوطن أُمنية ومطمحاً جماهيرياً...أمّا وقد نجحت في إجتياز الحدود؛ فقد بقي العراق الحاضر الغائب والجنة الموعودة، واكتشفت أنّه كلما زدت إبتعاداً عنه إزددت قرباً منه، وإبتعاداً به. شأني في ذلك شأن جميع أحرار العراق والذين طحنت الديكتاتورية عصافير أحلامهم، ومن حسن حظي أنّني وجدت في الشعر وطناً مستعاراً، نصبت فيه خدمتي، ونثرت في حقوله الشاسعة بذوري. فكانت قصائدي صرخات إحتجاج حيناً ونافذة أطلّ منها أحياناً» (محمد جاهين بدوي، ٢٠١٠م: ٦٧-٦٨)

يـا صَـابِرَاً عِقـدَين إلّا بِضـعَةً عَـن خُبـزِ تُنُّـورٍ وَكَـأسِ فُـراتِ
لَـيلاكَ فِـي حُضـنِ الغَريـبِ يَشُـدُّها لِسَريرِهِ حَبلٌ مِن السُرُفاتِ
تَبكِـي وَتَسـتَبكِي وَلَكِـن لا فَتـىً فَيُفـكُّ أَسـرَ سَـبيئَةٍ مُـدمَاةِ
يَـا صَـابِرَاً عِقـدَينِ إلّا بِضـعَةً لَيلَـى مُكَبَّلَـةٌ بِقَيـدِ غُـزاةِ
لَـيلاكَ مَـا خانَـت هَـواكَ وَإنَّمَـا هُبَـلُ الجَديـدُ بـزيّ دُولارات
إنَّ المَريضَـةَ فِـي العِـراق عِراقَـةٌ أمَّـا الطَبِيـبُ فَمِبضَـعُ الشَـهَواتِ

(يحيى السماوي، نقوش على جذع نخلة، ٢٠٠٥م: ٧٤-٧٥)

وهكذا حبّ السماوي للوطن هذا لم ينبعث عن عصبية وطنية عمياء بل عن حبّ صادق ووعي وإنسانية «يعدّ يحيى السماوي من أبرز شعراء الحداثة في المرحلة الراهنة؛ فكان ولا يزال يضطلع بدور ريادي في نشر الوعي وفضح الممارسات السياسية الإنهزامية للسلطة وللغزاة المحتلّين. وممّا لا شك فيه أن هذا الشاعر شاعر موهوب، مجدّد ومنفتح على لغة الحداثة. ومن يتصفّح دواوينه الشعرية سوف يستشف من شعره أصالة ثقافته» (رسول بلاوي ومرضية آباد، ١٣٩٢ش/٢٠١٣م: ٢) فليلى (أسطورة الحب عند العرب) مرادفة للعراق حبيبة الشاعر وقيس بن ملوح (المجنون أسطورة المحبّ الصادق عند العرب) مرادف للشاعر نفسه فكلّ هذا يدلّ على حنينه إلى وطنه فهو يرى الزمان خيالاً لم يخرج دائرة همومه الأبدية وهذا كلّه يدلّ على أبعاد موحية لها أثره الكبير على المتلقي في إيقاظ وعي الشعب أمام المحتلين:

هَــل لِلغُصُــون مِــن الجُــذُور أطيارُهُ...وَنَخِيلُـــهُ مَصـــلُوب
قَـومِي هُمُـو قَتَلُـوا أُمَـيمَ أَخِـي وَلا ذَنــبَ سِــوَى أَنَّ القَتِيــلَ قَرِيــبُ
مَـا لِـي أبثّـك يـا نَـديم قريحتـي شـــجَني وَفيـــكَ مِـــن الهُمُـــومِ
هَـــل نَحـــنُ إلّا أُمَّـــةٌ مَغلُوبَـــةٌ رَأَت المَشـورَةَ مـا يَقـولُ مُريـبُ؟
مَـا نَفـعُ تَوحيـدِ اللّسـانِ لِأُمَّـةٍ إن لَـــم تُوَحَّـــد أَذرُعٌ وَقُلُـــوبُ؟
هِـي أُمَـةٌ أَعـداؤُها مِنهـا...متى طـارَ الجِنـاحُ وَبَعضُـهُ مَعطُـوبُ؟
مِـن أَيـنَ يَأتِينـا الأمـانُ وَبَعضُـنا لِعَـــدُوِّنا وَالطّـــامِعِينَ رَبِيـــبُ؟
هَـــل نَحـــنُ إلّا أُمَّـــةٌ مَغلُوبَـــةٌ فَـــإلى مَـــن يَشـــكُو العاشِـــقُ
لا بُـدَّ مِـن غَـرَق السَّـفِينِ إذا لِقيادِهَـــا المَنبُـــوذِ وَالمَجـــذُوب

(يحيى السماوي، قليلك لا كثيرهن، ٢٠٠٧م: ٨٢-٩٢)

السماوي «شاعر كبير في بناء صورته الشعرية، وتحفّل إنجازاته بالقيم الإنسانية النبيلة، ووظّف شعره لخدمة الإنسان والمسيرة الإنسانية وخاصّة تفاعله الكبير مع قضية وطنه الجريح الذي تعرّضت للطواغيت – حزب البعث – وللإحتلال الإمريكي ولأشرس هجمات إرهابية في التاريخ نتيجة هذا الإحتلال والديموقراطية المزعومة فقد عنى السماوي في شعره بتصوير المجتمع العراقي ومآسيه بكلّ أبعاده وتوجّهاته، وقد ملك العراق ومدنه مشاعره وإحساسه ووجدانه، وغدا كل شيء فيه مثار إعجابه وإشتياقه وتعلّقه به، إذن؛ خصّص شعره لتصوير العلاقة القائمة بينه وبين الوطن الجريح، والعراق لم يغب عن باله وهمومه بل تغلغل في وجوده وملكت عليه إحساساته ومشاعره» (بهنام باقري والزملاء، ١٣٩٣ش: ١٤) وهكذا بالتركيز على قصائد يحيى السماوي نرى بوضوح ازدواجية الأفكار لديه لأنّ رغم أنّه معارض لصدام وسياساته القمعية معارض لاحتلال العراق من قبل الأجانب أيضاً لذلك ينشد بروح وطني يبعث مواطنيه على الوحدة ورفض الاحتلال والاستعمار ويصف المحتلين بالجراد والذئب قائلاً:

«وَأَنـا أُقَلِّـدُ نَـبضَ قَلبِـي لِلَّـذِينَ/يُقاتِلُونَ الـذِّئبَ فِـي البُسـتانِ/لِلأطفَالِ يَسـتَجدونَ مِـــن جُـــوعٍ بَرامِيـــلَ القُمَامَةِ.../لِلنِّســـاءِ المُثكِلاتِ../وَلِلقَنَادِيـــلِ الكَثِيفَه/سُـــلِمَت/لِأَنَّ مُحَـررِي لايَسـتَبِينُ الـدَّربَ/إلّا تَحـتَ أَضـواءِ القَدِيمَـه» (يحيى السماوي، نقوش على جذع نخلة، ٢٠٠٥م: ٨٤)

الذئب في شعر السماوي يتحول إلى رمز للمحتلين الأمريكان بعد احتلالهم العراق منذ عام ٢٠٠٣م بعد أنّ كان رمزاً للصدام والبعثيين قبل هذا التاريخ لأنّ في رؤية السماوي لا فرق بين وحشية قوات البعث العراقيين وقوات الاستعمار الأمريكي الذين هدموا مدن العراق بعد احتلاله لذلك فهو معارض للاحتلال العسكري الأمريكي بذريعة تحرير العراق كما كان معارضاً للنظام البعثي والصدامي الظالم لسنوات طوال. فيصير الذئب كما مرّ ذكره رمزاً

للمحتلين الأمريكان ووحشيتهم وجرائمهم المرعبة في العراق الذين يشبهون الذئاب في وحشيتهم ولأنّهم هم سبب كلّ الكوارث التي يؤلمها وطنه الحبيب العراق بعد احتلاله بيد هؤلاء الذين دنسوا أرض العراق الطاهرة كما يشير إليهم بعض الأحيان برمز الجراد مكرّراً نفس الفكرة ويقول في قصيدة "جرح باتساع الوطن":

«كُلُّ الجِرادِ البَشَريِّ الآنَ فِي بَغداد/فَيا جِياعَ الرَّافِدينِ اتَّحَدُوا/وَنَظِّفوا الحقلَ مِن الجِرادِ/كَي لا يَجُوعَ فِي الغَدِ الأَبنَاءُ وَالأَحفَاد/فَإِنَّ تَأمينَ رَغيفِ الخُبزِ/فَرعٌ/مِن فُرُوعِ شِرعَةِ الجِهاد/يا كُلَّ مَن جاؤُوا إلى "وَليمَةِ" العِراقْ/مِن ساسَةٍ../وَمِن مُرابين../وَباحِثِينَ عَن أسواقْ/لِلسُّلَعِ التي بِها تُسْتَعبَدُ الأعناقْ:/لِتَتَّقُوا اللهَ بِها.../فَلَيسَ مِن مَكارِمِ الأخلاقْ/أَكلُ "نَطِيحَةٍ" عَلَى مائدةِ النفاقْ» (يحيى السماوي، جرح باتساع الوطن، ١٩٩٣م: ١٠٧)

فالجراد هنا رمز للمحتلين الأمريكان الذين حشدوا الآن في بغداد فيطالب السماوي بتطهير أرض العراق من رجس تواجد أعداء الشعب العراقي المظلوم قائلاً:

«يحدثُ أَن أُطَهّرَ الحُقُولَ مِن كُلِّ الجِرادِ البَشَريِّ/فِي بَساتِينِ الفُراتَينِ/وَفِي الجَليلِ...يافَا...وَرِياضِ النَّاصِرَة/وَأسرجَ الخُضرَةَ فِي القفارِ/حَتّى تَستَحِيلَ جَنّةً أَرضِيَّةً/ضَاحِكَةَ السّلال» (يحيى السماوي، قليلك لا كثيرهن، ٢٠٠٧م: ٥٨-٥٩)

«إنّ محنة الشعب العراقي هي محنة الشاعر يحيى السماوي وهي من أكبر الأحداث التي هزّت الضمير الانساني، فلا غرابة أن ينذر الشاعر قلمه لتصور وقعها في نفسه، فقد غادر السماوي وطنه العراق هرباً من الظلم والاستبداد الديكتاتوري على أمل العودة إليه في ظلّ نظام يغدو فيه العراق وطناً للجميع يخلو من القهر والإضطهاد، لكن أمله خاب حين بدت له مأساة الإحتلال لا تقلّ فداحة عن الحكم الإستبدادي، فآثر البقاء في منفاه الاختياري يمزّقه الألم وقد تخلّى العالم كلّه عن وطن وشعب كان عبر تاريخه منهلاً للحضارة ومنبعاً للعطاء الإنساني» (رسول بلاوي ومرضية آباد، ١٤٣٥ق: ٢٧)

فكانت الازدواجية التي تتعلق بروح السماوي الوطني ونراها بوضوح في قصائده هي حبّه للوطن والغربة في نفس الوقت لكنّ لوعته في الغربة وحنينه إلى الوطن أدّيا إلى مزيد من صدق عاطفة الشاعر كأنّه يتحدث من أعمق بواطنه عن العراق ومدنه وينشد:

أَبــدَلتُ بِالظِــلِّ الهَجِيــرَ -لِأَنَّنــي قَد كُنتُ فِي داري غَرِيبَ الدّارِ
أَنــا ضَــائِعٌ مِثــلُ العَــراق فَفَتِّشــي عَنّي بِرَوضِك لا بِلَيلِ صَحاري

(يحيى السماوي، قلبي على وطني، ١٩٩٢م: ٣٣)

فالشاعر في هذه الأبيات القصيرة يرى غربته وضياع وطنه عاملين رئيسيين هامين لهمومه وضيق صدره لذلك يتحدث عن العراق الذي عاش زمناً طائراً في عشّه ثم يكشف عن حزنه في الغربة والاغتراب ويتحوّل الظل رمزاً للعيش المليء بالرغد والرفاه اللتين تنّعم بهما في العراق ولكن بشنّ هجوم الأعداء المحتلين يرى الشاعر نفسه في وطنه مغترباً عليه مغادرة بلاده لأنّه يمكنه أن يتحمّل أذى الاغتراب والعيش في الغربة ولكن لن يطيق أن يتنفّس في هواء تلوّث بأنفاس المحتلين العفنة الدنسة. فحسب رؤية السماوي العراق هويته الوطنية وضياعها حزن يخدش صفاء قلبه ويسوّدها ولايمكن تناسيه. «وللسماوي حضور ثقافي واسع في أماكن عديدة، وهو يكتب معاناة انسانية ويستصرخ الضمير الانساني من أجل إنقاذ الأنسان من عذاباته ومكابداته اليومية، ويحمل في حلّه وترحاله تصوّرات ورؤىً واضحة عن واقع الانساني المهمّش والمسحوق تحت عجلات الديكتاتورية، لاسيما الإنسان العربي اللذي يكابد ضغط الأنظمة السلطوية الشمولية العربية التي لا تحسب أية حسابات لشعوبها المقهورة، وطموحاتها للعيش بحرّية وكرامة يتوق إليهما الإنسان العربي ويتطلّع اليهما في كلّ يوم» (رسول بلاوي ومرضية آباد، ١٣٩١ش/٢٠١٢م: ١٢٤)

فلذلك «يسعى السماوي إلى إستخدام موتيف الشخصيات الإسلامية وسيلة للإعادة والإلحاح والتأكيد على ما في ذهنه لإصلاح الواقع، ولهذا فهو لم يكن معنياً بتكرار إسم بعينه بقدر ما يبحث عن قيم ومبادئٍ تتمثّل في الأشخاص» (رسول بلاوي والزملاء، ١٣٩٣ش: ٦٢)

فالسماوي لشدّة حبّ وطنه العراقي الذي احتلّ بيد المستعمرين الأمريكان يسخّر تمثال الحرية المنتصبة في مدينة نيويورك فيصوّرها كمشنقة تكون الشعلة في يدها بما تقوم به البنتاغون والقوات الأمريكية محض فتيل لحرق العالمين حيث تراها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية سيفاً لضرب رقاب الذين يقاومون أمام آلهة البيت الأبيض. فالشاعر يحاول إثبات كذب الأمريكان في إرساء الديموقراطية وأنّ خطة عملهم تختلف تماماً مع ما يقولونه في شعارات برّاقة جوفاء لأنّ الأمريكان حسب رأي السماوي لم يدخّروا أي جهد لإيجاد البلبلة والاضطراب في العراق من سجن أبي غريب الذي شاع تعذيب السجناء فيه على يد القوات الأمريكية إلى إهانة الشعوب الإسلامية والمرأة العراقية البريئة. (عبدالأحد غيبي وليلا جباري، ١٣٩٣ش: ١٧٢-١٧٣)

تجربة حبّ الوطن عند السماوي نراه بوضوح في مقدمة ديوان "قليلك لا كثيرهن" ففي هذه التجربة يمزج الوطن عند الشاعر بالحبيبة حيث يرسم الوطن بصور الحبيبة وتتحوّل الحبيبة إلى مظهر من مظاهر الوطن المعنوية الذي يوفّر الهدوء والطمأنينة للشاعر وهكذا يمزج هذان الإثنان إلى حدّ يتراءان في صورة فنية رائعة واحدة كلّ هذا بسبب تشوّق السماوي

إلى وطنه المتألم وسبب لوعته واشتياقه للوطن وهو بعيد عنه في الغربة والمنفى (محمد جاهين بدوي، ٢٠١٠م: ١٥٨) وهكذا إذا نظرنا في عناوين قصائد السماوي نرى بوضوح ثنائية الوطن والمنفى انعكست تماماً في شعره وتدلّ بوضوح إلى شعور غربة الشاعر إلى نفسه وإلى مكانه (حامد الغرباوي، ٢٠١٠م: ٤٥) يقول السماوي مازجاً بين وطنه وحبيبته بعد تجارب مريرة من ألم الغربة وفراق الأحبة في قصيدة "آخر العمر" أنّ وطن المرء قلب إمرأته كما أنّ حبيبته وطنه:

«في آخرِ العُمرِ اكتَشَفتُ أنَّني غَرِير.../في آخرِ العُمرِ اكتَشَفتُ أنَّني الزَاهِدُ/وَالمُسرِفُ.../الصُعلُوكُ.../وَاكتَشَفتُ أَنَّ زَورَقِي/أكبَرُ مِن أَن/تَستَطِيعَ حَملَه البُحُور.../فِي آخرِ العُمرِ اكتَشَفتُ/أَنَّ كُلَّ وَردَةٍ حَدِيقَةٌ كامِلَةٌ/كُلَّ كُوخٍ وَطَنٌ/فِي آخرِ العُمرِ اكتَشَفتُ/أَنَّ قَلبَاً دُونَما حَبيبَةٍ/مَبخَرَةٌ لَيسَ بِها بُخُور.../في آخرِ العُمرِ اكتَشَفتُ/أَنّ لي طُفُولَةً ضائِعَةً/جاءَ بِهَا حُبُّكِ/فِي آخرِ العُمرِ اكتَشَفتُ/أَنّني سادِنُكِ الناسِكُ...وَالحَقِير/أركُضُ فِي رَوضِكِ/في آخرِ العُمرِ اكتَشَفتُ/أَنَّني طِفلُكِ يا سيِّدَتِي الطِّفلَةَ/طِفلٌ عاشِق...» (يحيى السماوي، قليلك لا كثيرهن، ٢٠٠٧م: ٣٧-٤٢)

كما أنّ من أهمّ عناصر حبّ الوطن في شعر السماوي المحاولة لإرساء «الحرية والإستقلال، ورفض ظلم الحكام وإنتقاد سياساتهم ومناهضة الإحتلال الإمريكي والتنديد بالحرب والإرهاب والدعوة إلى صحوة الشعب والثورة على الطغيان والإستبداد في سبيل نيل حرية الوطن وحق الشعب في تقرير المصير في المجتمع العربي» (رسول بلاوي ومرضية آباد، ١٤٣٥ق: ١٩) فالسماوي أولاً وأخيراً يريد أن يدعو الشعب العراقي لكي يتحّدوا في وجه الأعداء ويشنّوا عليهم هجوماً يجبرهم على مغادرة الأرض العراقي فإنّه يعبّر عن فكرته هذه بوضوح حيث يقول:

«أَعِدُّوا لِعَدوِّكم- عَدُوِّ اللهِ- مَا يُرهِبُه/وَما استَطَعتُم مِن خُيُولِ الخُطَبِ العِصمَاء/مِن قُوَّةِ اللِّسان/وَالبَيان/ذُودُوا عَن التُرابِ وَالمَال/وَعَن عِرضِ المُحصناتِ بِالأشعار/حَتّى يَفِرَّ القاتِلُ المُحتَلُ مِن بُستانِنَا/وَتُستَعادَ الدَّار» (يحيى السماوي، قليلك لا كثيرهن، ٢٠٠٧م: ١٠٣-١٠٤)

٣- رموز الوطن العراقي في شعر يحيى السماوي

يستخدم يحيى السماوي الشاعر العراقي المقاوم جميع أحاسيسه وعواطفه الشعرية ومكوناته الشعرية للذود عن وطنه العراقي فهو في شعره يصوّر المجتمع العراقي وكوارثه بجميع أبعادها. لذلك يجعل من العراق وما فيه ممّا يثير الإعجاب أو يجري في أذهان أبناء بلده موضوعاً شعرياً كما يحظى تصوير علاقته بوطنه الجريح والمؤلم العراق بقسط كبير من شعره. فلم يبتعد العراق وأحزانه من ذهن الشاعر وفكره ولو للحظة كأنّ العراق تغلغل وجود

الشاعر وامتلك جميع أحاسيسه ومشاعره. فهو يقارع أعداء وطنه الداخلية والخارجية بترميز أماكن العراق المقدسة وأسماء مدنه وأنهاره ونخيله ورياحه وحيواناته.

٣-١- ترميز المدن العراقية

أسماء المدن طول مختلف العصور كانت مثيرة للأحاسيس والأشعار فالمدينة في شعر السماوي رمز للحياة البشرية وأرضية لبروز العقائد السياسة والاجتماعية حيث يهدف بذكر أسماء المدن إلى مزيد من التأثير في متلقي شعره كأنّه بعمله هذا ينادي بجزء من أجزاء أرضه. «ومن المؤكّد أنّ المدينة مقدمة في شعر يحيى السماوي بطريقة تختلف نسبياً عن مجمل الموقف من المدينة عند شعراء العرب المحدثين من أحمد عبدالمعطى الحجازي إلى البياتي الذين رأوه فيها تشويهاً لطبيعة الإنسان وجناية على انسانيته وطيبته، ومجالاً للقسوة والظلم والإختناق، وربّما أيضاً مسخاً لأخلاقية الإنسان وخنقاً لنداء وجدانه، ذلك أنّ حالة المدينة في الكون الشعري عند السماوي هي جزء من مناخ التراجيديا المخيمة على الوجود، وهي نفسها من وقود المأساة وليس بالضبط مسبّبة المأساة» (رسول بلاوي ومرضية آباد، ١٣٩١ش/٢٠١٢م: ١٢٥) وهكذا لم يكره الشاعر المدن ولاسيما مدن العراق وطنه الحبيب إذ «السماوي لم يسمح لنفسه بالوقوع في شراك تلك الموجة الغربية الطارئة ولا غيرها من الموجات الدخيلة التي إجتاحت الشعر العربي الحديث وهيمنت على أذهان الشعراء العرب بل على العكس فالسماوي لعلّه يرى أنّ الأدب والفنّ نحو العالميّة والشهرة إنّما يمرّ من خلال الغوص والإغراق في عمق الأصالة المحلّية وفهم الهموم والأبعاد الواقعية فيها فلا عالمية ولا منافسة للآداب الأجنبية بالتشبّه والمحاكاة أو بالقفز فوق الواقع المحلّي ولهذا احتضن السماوي واقع الوطن العربي، احتضن مدنه وبلدانه وقراه الفقيرة وأحياءه البائسة التي يعشعش فيها الجوع والفقر والمرض والثورة» (المصدر نفسه: ١٢٥) وبين هذه المدن العربية المدن العراقية الشهيرة إذ الشاعر وطنيّ يحبّ وطنه العراق أولاً وأخيراً لذلك بما أنّ «أسماء الأماكن الجغرافية التي ترد في الديوان مثل المدن والمواقع ذات التاريخ المشهود في الماضي أو الحاضر، ففي مقدمتها بالضرورة المدن العراقية وعاصمتها بغداد، ومن هذه المدن والأحياء: البصرة وأربيل والرصافة والكرخ وكردستان، وهو يذكرها لا ليعبّر عن مكانتها الأثيرة في قلبه ومثول طيفها أمامه في الصحو والرقاد فحسب، بل ليؤكّد أنها مازالت تحيا على الرغم ممّا فعل بها المارقون من أبنائها، ويحلم بعودة شمسها إلى السطوع مثلما ينبعث طائر الفينيق من رماده ويملأ الدنيا غناءً» (حسن فتح الباب، ٢٠١٠: ٨٦و٨٧) فمن بين «أكثر المدن التي يستحضرها الشاعر هي بغداد، السماوة ومكة. بغداد تمثّل رمزاً للوجود العربي والأمجاد الغابرة في التاريخ، والشاعر يرى في هذه المدينة كل مدن الوطن؛ أمّا السماوة تعتبر للشاعر مدينة فاضلة، فهي مسرح طفولته وصباه، وهي عنده ليست نقلاً لرؤىً إجتماعية وتفاصيل

يومية، بل هي إرتفاع إلى مستوى الرمز الذي يمنح القصيدة نبرة وجدانية خاصة، وتشكل حلماً لصيقاً به وماضياً ليس أحلى منه؛ ومكة تمثّل له دار الأمان فقد مكث فيها السماوي زمناً بعد مغادرة وطنه العراق وهناك أسباب أخرى دفع الشاعر إلى استحضار هذه المدينة منها أنّ مكة مدينة عربية وجد فيها الشاعر كلّ ما يأنس به الإنسان العربي من تقاليد وسلوكيات عربية، كما إنّها تعتبر عاصمة الإسلام المعنوية والمقدسّة يفد إليها المسلمون من شتّى أنحاء العالم»(رسول بلاوي ومرضية آباد، ١٣٩١ش/٢٠١٢م: ١٢١)

ولكن استدعاء هذه المدن العربية ولاسيّما العراقية لم تتمّ لمجرد ذكر هذه المدن ووصفها أو التفاخر بها بل لبيان موقف الشاعر السياسي تجاه وطنه والتعبير عن وطنيته وموقفه تجاه هذه القضايا، حيث عندما يقوم المحتلون الأمريكان باحتلال العراق الوطن ويقتلون شعبه ويهدمون مدنه وأريافه بذريعة إسقاط نظام البعث يشك السماوي في صدق نيّاتهم باستخدام أسلوب الاستفهام الانكاري ويتساءل كأنّه غريب مع بغداد رمز المدن العراقية فالعراق هذا الذي استسلم للمحتلين والمستعمرين ليس ذلك العراق العريق الحضاري المقاوم للاستعمار لأنّ العراقيين هم الذي ورثوا الإرث الفكري الثوري للإمام الحسين (عليه السلام) فمن المستحيل أن يقبلوا هذا التسالم مع الأجانب والاستسلام للمستعمرين الظالمين فالسماوي واقعي في موقفه السياسي تجاه وطنه ولا يتحمل المحتلين الأجانب كلّ الذنوب ويعترف بأنّ هناك بعض المأجورين والعملاء والخونة من أبناء الوطن يمهّدون الأرضية لقدوم الأجنبي المحتل إلى أرض وطنه ونهب ثرواته. فيخاطب الشعب العراقي أبناء بلده في قصيدته "عصفاً بهم" المنشورة في ديوان"نقوش على جذغ نخلة" قائلاً:

مَا العَجَبُ لَو خَانَ الفُؤادُ ضُلُوعَه؟ إنَّ الَّذِي خَانَ العَراقَ عِراقِيّ
فَإذا النضالُ نِخاسَةٌ مَفضُوحَةٌ فَاحَتْ عُفُونَتُها بِسُوقِ نِفاقِ
وَإذا الطِماحُ مَناصِبٌ مَأجُورةٌ يُسْعِى لَها زَحْفاً عَلَى الأعناق
وَلَقَدْ رأيْتُ النَخلَ يلطِمُ سَعْفَهُ خَجَلاً مِن الماشِينَ مَشيَ نِياق
هَل هذِهِ بغدادُ؟ كُنتُ عرَفتُها تأبى مُهادَنَةَ الدَّخِيلِ العاق
تَأبى مُساوَمَةً عَلَى شرفِ الثرى وَتَجُودُ . قَبلَ المالِ – بِالأرْماق
وَرَثَتْ عَن "الحُرِّ" الحُسامَ وَعَزْمَهُ وَعَن "الحُسَين" مَكارمَ الأخلاق
هَل هذِهِ بَغدادُ؟ تَأكُلُ ثَدْيَها فَإذا بِها وَعَدوَّها بِوِفاق...؟

(يحيى السماوي، نقوش على جذع نخلة، ٢٠٠٥م: ١٦٥)

الشاعر يشكو من الظروف التي أوجدت لبغداد والضغوط التي يمارس الحكّام على الناس وينتهكون حقوق الشعب ويمارسون ضدّهم مختلف أنواع الظلم والعدوان والقتل لاسيما وأنّ أبناء هذه المدينة وشعبها أظهروا بطولات كبيرة وتاريخاً مجيداً من الصمود والمقاومة. لذلك بغداد تبقى الحزن المؤلم في فؤاد الشاعر. ولأنّ السماوي يحبّ بغداد وتاريخها اللامع

حُبّاً جماً لذلك لايشتاق لرؤية العاصمة بغداد نفسها في هذه الأيام بل يركز على أسطورية هذه المدينة ورمزيّتها وكونها رمزاً لكلّ المدن العراقية فيقول:

«ثُـمَّ لَمَّـا أَصـبَحَت بَغـدادُ كُرسِـيَّاً لِمَنبُوذٍ/وَصَـحنَاً لِنَفَر/صَـارَت الأَوتـارُ قَيـدَاً/وَالمَواوِيلُ ضَجَر/*/ثُمَّ لَمّا فَتَحَت بَغدادُ عَينَيهَا/عَلَى صِبيانِ عَفلَق/وَطَنِي أَصبَحَ مَنفاتِي/وَجُرحِي صَارَ خَندَق/***/مُنذُ جِيلينِ وَبَغدادُ بِلادَينِ/مَتى يَشهَقُ بِالتَكبِيرِ ثغرُ المِئذَنَة؟»** (يحيى السماوي، هذه خيمتي فأين الوطن، ١٩٩٧م: ٧٤و٧٥)

فالأبيات هذه تدلّ على «الغربة وضياع الوطن وهما عاملان مهمّان من عوامل هزيمة الشاعر موت حلمه» (رسول بلاوي ومرضية آباد، ١٣٩١ش/٢٠١٢م: ١٢٨) فبغداد ليست مجردّ مدينة بل إنّها بمفردها وطن تسبطن الشعب العراقي ينهض ويقاوم المحتل الأجنبي ويضطره على مغادرة وطنه الحبيب لأنّ ناسها لايخافون من أي شيء في سبيل الذود عن وطنهم:

لا تَسأَليه الصَّبرَ وَلَو جَزعَا ... مِمَّا رَأى.. بَغدادَ.. أَو
فَردٌ وَلَكِنَّ بَينَ أَضلُعِهِ ... وَطَنٌ وَشَعبٌ يَخفقَانِ مَعَا
صَادٍ يُبَلبِلُ بِاللَّظَى شَفَةً ... وَيَصدُّ عَن مُستَعذَبٍ نَبعَا
أَنِفَ انتِهَالَ الرَّاحِ لا بَطَراً ... أو خَوفَ مُلتَصِ وَلا وَرعَا

(يحيى السماوي، هذه خيمتي فأين الوطن، ١٩٩٧م: ٢٥)

فهو يصحّح مزاعم البعض الذين خُدعوا بأنّ سقوط بغداد في ٢٠٠٣م على يد الأمريكان هزيمة بغداد ويراها هزيمة النظام الصدامي الذي ظلم شعبه طوال سنين بحروب عابثة وارتكاب مختلف الجرائم ضدّ شعبه وشعوب المنطقة، فالشاعر يقول صراحة أنّ المهزوم ليس بغداد بل الصدام الذي يشير إليه بربّ الصنم والظالم الذي لم يصن حرمة دول الجوار ودماء أبناءها فيأمل كي تنهض بغداد بماضيها وتاريخها العريق المشرق وأن تثمر دوحها الأصيل قائلاً:

هُزِمَت بَغدَادُ؟ لا.. لَم ... إنّمَا المَهزُومُ رَبُّ الصَّنَمِ
وَنِظَامٌ ظَالِمُ الفِعلِ طَغَا ... لَم يَصُن حُرمَةَ جَارٍ وَدَمِ
وَغَداً تَنهُضُ بَغدادُ كَمَا ... يُنهِضُ الجِذرُ غُصُونَ

(يحيى السماوي، زنابق برية، ٢٠٠٣م: ١٠)

إذ يبدو كما تروّجه بعض وسائل الإعلام العربية والغربية أنّ بغداد هُزمت ولكنه لايمكن أن تهزم بغداد نظراً إلى تاريخها العظيم وبطولات ومفاخر أهاليها لذلك ينتظر الشاعر ميلادها الجديد ويقول:

عَسَى بَغدادُ تنهضُ عَن ... ظَلامَ تَعَسُّفٍ وَسِياطَ قَهرِ

(المصدر نفسه: ١٨٢)

فهو متفائل جداً لنهضة الشعب في العراق الذي يرمز إليه ببغداد رغم المساعي الحاقدة للأعداء وعملائهم والإرهابيين الخونة الذين هم أصبحوا أدوات تعمل لصالح الأجنبي والمحتل:

«لِي ما يُبَرِّرُ وَحشِيَّتِي/بَغدادُ تُطنبُ فِي الحَدِيثِ عَن الرَّبيعِ/وَنَشرَةُ الأَخبارِ تُنبِيءُ عَن خَرِيفٍ/قَد يَدُومُ بِأَرضِ دَجلَةَ ألفَ عَام../وَأَنَا وَرائِي جُثَّةٌ تَمشِي وَمَقبَرَةٌ أَمامِي» (نقلاً عن: حسين سرمك، ٢٠١٠م: ١١١)

يستدعي الشاعر غالبية المدن العراقية التي تعاني من النزاع بين الاستبداد البعثي والاستعمار الأمريكي ويتنهّد من أعماق قلبه آهات الحزن والأسى لهدم هذه المدن ويرثيها في شعرها لما أصابها من دمار وخراب. السماوي يقصد أن يعبّر عن مدى الكارثة التي يواجهها العراقيون وأن يثير همم قارئي شعره ومشاعرهم تجاه هذه الإبادة والقتل والدمار في الأرض العراقي كي يحسّ جميع متلقي قصائده بنفس المشاعر التي يحسّ بها الشاعر لضياع وطنه الأحب فلم تكن بغداد المدينة الحاضرة الوحيدة في قصائد السماوي رغم كثرة حضورها بل هناك الكوفة والأنبار والبصرة والكوت وكربلاء وغيرها من المدن العراقية رموز حيّة تؤدي دورها الإحيائي في قصائده لأنّ السماوي أولاً وأخيراً وطنيّ يحبّ وطنه ويحث أبناء وطنه للذود عن الوطن وتطهيره من رجس المحتلّ والأجنبي ودنسهما فالسماوي يشير إلى الجرائم التي ارتكبها البعثيون والمحتلين وعملائهم والإرهابيين في هذه المدن العراقية ويقول:

«كُلَّمَا نَرفَعُ صَوتَاً بِاسمِ طِفلٍ شَاخَ رُعبَاً/وَأَبٍ قَيَّدَهُ القَهرُ/وَبِاسمِ الأَرمَلَةِ/أَوقفُوا سَفكَ الدَّمِ المَقهُورِ فِي الكُوفَةِ/في الأَنبارِ وَالبَصرَةِ/في الكُوتِ وَبَاقِي المُدُنِ المُشتَعَلَة/فَمَتى تُعطُونَ لِلجَائِعِ خُبزَاً/وَأَمانَاً لِلعَصَافِيرِ الَّتِي غَادَرَت الحِقلَ؟/مَتَى يَركنُ لِلحِكمَةِ رَبُّ القُنبُلَةِ/فَيُجِيبُ القَتَلَة/صَبرَكُم.../لَم يُكمِلِ التَّحرِيرُ عَامَينِ/عَلامَ العَجَلَة؟» (يحيى السماوي، نقوش على جذع نخلة، ٢٠٠٥م: ١١٧-١١٨)

فالقتلة هنا المحتلون الأمريكان وعملاؤهم فهذه المقاطع الشعرية تعبّر عن إحساس الشاعر الداخلي الناتج عن الواقع المرير الذي تعيشه المدن العراقية كما أنّ العصافير هنا رمز لضياع الوطن وتشرّد الشعب العراقي واغترابهم في وطنهم كما يرى أنّ «الجرائم التي يقترفها المحتلّ في العراق دون رحمة أو شفقة إسترجاع لجريمة مقتل الحسين. هكذا جاءت الأصوات فاعلة في تحفيز الرؤية وتعميق الشعور الإنفعالي الحزين إزاء كل المصائب والعاصفة التي تمرّ على الشعب العراقي إبتداء من جريمة إغتيال الحسين إلى الجرائم الكثيرة التي تحدث في العراق». (عصام شرتح: ٢٠١١م: ٣٣٧) فهكذا بدراسة القصائد وأعمال السماوي

نـرى بوضـوح أنّـه يسـتخدم الرمـوز المـؤثرة فـي قصـائده لتعزيـز التواصـل الروحـي بينـه وبـين متلقـي أشـعاره فإضـافة إلـى رمـوز المـدن العراقيـة وأنهـاره ونخيلـه –الـذي ندرسـها فـي هـذا المقـال– يشـير إلـى رمـوز كثيـرة مثـل الأسـماء المقدسـة تتعلـق بـالعراق وأرضـه وكـذلك حيوانـات مثـل الجـراد والعصـفور والـذئب والتـي تكثـر فـي هـذا البلـد. رغـم أنّ هـذه الحيوانـات تعـيش فـي الـدول الأخـرى غيـر العـراق أيضـاً ولكـن المهـم أنّ السـماوي يسـتخدم هـذه الرمـوز لإبـراز حبّـه تجـاه الـوطن وتأكيـد نضـاله ضـدّ البعثيـين والمحتلـين والعمـلاء والخونـة الإرهـابيين الـذين أيـاديهم مدنسـة بنزيـف الـدم العراقـي ولتشـجيع الشـعب العراقـي الصـامد فـي قتالـه ومقاومتـه ضـدّ هـؤلاء. فكمـا مـرّ ذكـره إنّ العصـافير رمـز لأهـالي العـراق والـذئب والجـراد رمـز للبعثيـين والمحتلـين وعملائهـم الـذين يهـدمون هـذه الأرض ويقتلـون أناسـها، فهكـذا يتحـوّل الجـراد والعصـفور والـذئب إلـى رمـوز فـي قصـيدته "يحـدث فـي خيـالي" كمـا يكـرّر الألفـاظ الموحيـة المشـيرة إلـى طبيعـة العـراق والتي تدلّ على حبّه تجاه موطنه وتشوقه إلى طبيعة وطنه:

«**هَـل يَزعـلُ العُصـفُورُ مِـن سَـمَاحَةِ البَيـدَر؟/وَالزَّهرُ مِـن الرَّبِيع؟/وَالنَّسـرُ مِـن الأعالِي؟/يُحـدِثُ أَن أُقِـيمَ جِسـرُ الـوُدِّ/بَينَ الشـاةِ وَالـذِّئبِ/وَبَينَ الضَّـبُعِ وَالغَزَالِ/بَينـا نَهـرَانِ مِـن ضُـحكٍ/وَمِن بُكاءٍ/وَحِقـلِ ياسَمِين/تَشـكُو سـواقِيه احتِـرَاقَ المَـاءِ**» (يحيـى السماوي، قليلك لا كثيرهن، ٢٠٠٧م: ٦٢–٥٣)

«فيتّخـذ الشـاعر مـن صـورة العصـفور رمـزاً للمعانـاة وتشـرّد أبنـاء الشـعب العراقـي فـي ظـلّ هـذا الواقـع المتـردّي إثـر إحـتلال الإمريكـان للعـراق؛ فقـد حـرّر الإحـتلال العـراق مـن ظلـم الديكتاتوريـة الصـدامية، ليحتلّهـا احـتلالاً أشـدّ قسـوة ومأسـاة مـن النظـام السـابق وهـم كالمستصـرخ مـن الرمضـاء بالنـار» (بهنـام بـاقري والـزملاء، ١٣٩٣ش: ١٩) فـلا عجـب مـن هـذا الموقـف الـرافض دومـاً إذ «غـادر السـماوي وطنـه العـراق بعـد أن خـيّم عليـه الحـزن والخـراب تحـت نيـر سـياط حـزب البعـث؛ ولقـد إسـتخدم الشـاعر هـذا الرمـز – الـذئاب – للتعبيـر عـن هـذا الشـر والجـراح والـدّمار الـذي سـاد فـي العـراق فـي هـذه الفتـرة. يرمـز السـماوي بالـذئاب إلـى حـزب البعـث، النظـام العراقـي السـابق» (المصـدر نفسـه: ٢٠) كمـا بعـد ذلـك التـاريخ يـرفض الشـاعر جنايـات هـدم المـدن العراقية على رؤوس أهاليها بيد المحتلين ويرمز بالذئاب بهم ويقول:

«**طِفـلٌ بِـلا سَـاقَين/وَطِفلَةٌ مَشـطُورَةٌ نِصـفَين/وَطاعِنٌ دُونَ يَـدٍ/وَامرأَةٌ مَقطُوعَـةُ النَّهـدَين/وَكَوّةٌ فِـي قُبـةِ الحُسَـينِ جَميعُهَا:/حِصـادُ طِلقَتَـينِ مِـن دَبابَـةٍ/مَرَّت بِكَربَلاء/تَحِيَّـةً لِيـومِ عاشُـورَاء**» (يحيـى السـماوي، نقـوش علـى جـذع نخلـة، ٢٠٠٥م: ١٢٥)

السماوي يكرّر رمز الإمام حسين (ع) وجهاده ضدّ الظالمين والطغاة كثيراً في قصائده ولكن «هذا لايعني أنّ كتابته كانت طائفية، فالحسين (عليه السلام) كان مثالاً سماوياً/أرضياً كونياً للتسامح وكفى به رمزاً لهذا التسامح أنّه بكى على أعدائه خوفاً عليهم من جهنم! أرأيت مقتولاً يبكي على مصير قاتله؟! فهو يكشف بتكراره لمأساة الإمام الحسين عن صدى إنكساري معيّن، أو شعور نفسي ضاغط، على ذاته كالقلق والوجع، والغضب، والشعور بالأسى والحزن والتوتّر» (رسول بلاوي ومرضية آباد، ١٣٩٢ش/٢٠١٣م: ١٣)

فالشاعر لايذكر المدن العراقية لمجرد ذكرها بل يرثي لبغداد ولما أصابته العاصمة وأسواقها الشعبية كأنّ بغداد حبيبته الضائعة:

«أَسَفِي عَلَى بَغدادَ...كَيفَ غَدَت سُوقاً وأَنجُمَ مَجدِهَا سِلَعا؟
قَد كَانَ يربِطُنِي بِهُودَجِهَا خَيطٌ مِن الآمالِ...وانقَطَعَا»

(يحيى السماوي، نقوش على جذع نخلة، ٢٠٠٥م: ٣١)

هكذا يهتم السماوي بتصوير المجتمع العراقي والأبعاد الشاملة لكوارثه ومصائبه كما أنّ العراق ومدنه يحتلّ مكاناً واسعاً من أحاسيسه وأفكاره وأشعاره وكلّ ذلك سببه حبّه للعراق واشتياقه وتعلّقه بهذا الوطن العريق الذي يتجذر في عصور متوغلة في القدم كما يتجذر في أعماق قلب الشاعر. فالسماوي يحاول أن يفصح عن تاريخ العراق وماضيه المتلألأ وثقافته الأصيلة ومدنه الجميلة الرائعة كما يسعى أن يعبّر في نفس الوقت عن كراهيته لتواجد القوات المحتلة الأمريكية والاضطراب والخراب الناتج عن تواجدهم في وطنه الأليم الجريح.

٣-٢- ترميز الأنهار العراقية

الأنهار التاريخية العراقية الشهيرة كانت ولاتزال في أذهان أناس هذا البلد تعبّر عن تاريخ العراق المضطرب لذلك يستخدم السماوي أسماء هذه الأنهار في قصائده حيث يستدعي دجلة والفرات ويمزجهما بمفاهيمه المضادة للاستبداد والاستعمار ويضيفيهما الوطنية التي تهدف إلى زيادة وعي الشعب وإيقاظهم وإنهاضهم:

«وَيَسأَلُنِي الفُراتُ/عَشِقتَ؟/يا نَهرَ الطُّفُولَةِ قَد عَشِقتُ حَبِيبَةً/هِيَ مِثلُ جُودِكَ إذ تَجُودُ» (المصدر نفسه: ٤٠)

ولكن الفرات الذي كان في الأصل رمزاً لعراق وطن الشاعر يتحوّل الآن بعد كلّ هذا الخراب والدمار إلى دموع تجري على عيون الشاعر المغترب البعيد عن وطنه إذ سماع الأخبار المؤسفة السيئة فيما يتعلق بالظروف المأساوية لوطنه المحتل من قبل المحتلين الأمريكيين ومأجوريهم وما يفعله الإرهابيون المتطرفون

والعناصر البعثيين الخونة يسيل أنهاراً من الدموع من عيونه شبيهة بالفرات في تدفقه فهكذا يتحوّل الفرات الذي كان رمزاً للحياة والنشاط في وطنه إلى خندق جاف لا حياة فيه ولا ماء حيث يقول:

«لا مَاءَ فِي النَّهرِ/وَلا أَمانَ فِي الدَّار/وَالبُستانِ/جَرِيمَةُ المُثلَةِ بِالأَوطان/لَيسَت أَقلَّ فِي كتابِ اللهِ/مِن جَرِيمَةِ المُثلَةِ بِالإنسَان/لِثَمودَ أُختٌ أَشرَكت يَوماً..وَبايَعَت الضَّلالَ/دِينَاً/فَأَوحَلَ فِي اليَنابِيعِ الزلال» (يحيى السماوي، قليلك لا كثيرهن، ٢٠٠٧م: ٩٩-١٠٠)

ففي قصيدة "هذه خيمتي فأين الوطن" يعترف الشاعر بأنّ الفرات عنده يعادل الوطن والعراق بوجه خاص حيث يقوم ببعض المشابهات بينهما ويراهما على حدّ سواء:

«بَينَكَ وَالعِراقِ تَماثُلٌ../كِلاكُمَا يَسكُنُ قَلبِي نسغ اختِرَاق../هَا أَنا بَينَكُما/*/بَينَكَ وَالفُرات/آصِرَةٌ.../كِلاكُمَا يَسِيلُ مِن عَينَيَّ/كِلاكُمَا صَيَّرَني أُمنِيَّةً قَتِيلَةً/كِلاكُمَا مِئذَنَةٌ حاصَرَها الغُزاةُ../هَا أنا بَينَكُما/***/بَينَكَ وَالفُراتِ/قِرابَةٌ../كِلاكُمَا يَنامُ فِي ذاكِرَةِ الشَّعبِ/كِلاكُمَا أَثكَلَهُ الطُّغَاةُ وَالغُزاة/هَا أَنا بَينَكُمَا»** (المصدر نفسه: ١٢-١٤)

حيث يعبّر السماوي عن آلامه وصعوباته في الغربة والمنفى ويعبّر عن حبّه تجاه وطنه. كما يقول في مكان آخر في قصيدة "قليلك...لا كثيرهن" مكرّراً نفس الفكرة:

«بَينَكَ وَالفُراتِ/آصِرَةٌ.../كِلاكُمَا يَسِيلُ مِن عَينَيَّ/حِينَ يطفحُ الوَجدُ/وَحِينَ تَشتَكِي حَمامَةُ الرُّوحِ/مِن الهَجِيرِ فِي الفَلاة» (يحيى السماوي، نقوش على جذع نخلة، ٢٠٠٥م: ١٦)

كما يرى في مكان آخر الدموع الجارية من عيونه في الغربة والدماء الجارية من أجساد الشعب العراقي المظلوم فراتاً جارياً يشبه الفرات الوطن: **«ثُلثا دَمعِي مَاءُ الفُراتِ/وَثلثُهُ طِينٌ بَدِيعِ المُتعَبِينِ مَذُوبُ»** (المصدر نفسه: ٩١)

«لقد تحولت صورة النهر – بعد إستلاب دلالته العهدية – إلى رمزية مضادّة فهي رمزية الموت والتعفّن والتفسّخ؛ فماؤه قيح فبعد أن كان سبباً للحياة، صار آية للموت في أبشع صورة، وأكثرها في النفس إثارة للإشمئزاز والتقزّز.ثم يؤكد هذا من وجه آخر في البيت التالي مباشرة، فيقرّر بصيغة الجمع في هذه المرّة، أنّ عامة أنهار هذا الوطن، قد أصابه السُلّ» (مرضية آباد ورسول بلاوي، ٢٠١٣م: ٧) وهكذا نرى أنّ «السماوي لا ينظر إلى الوطن على أنّه شيء منفصل عنه، بل يراه إمتداداً لكيانه وغدا كلّ شيء فيه مثار إعجابه وإشتياقه وتعلّقه به؛ والفرات يصير عنده رمزاً يتماهى بالعراق، فتكون رمزيته في هذا السياق رمزية روحية» (بهنام باقري والزملاء، ١٣٩٣ش: ١٨) «وهذه قمة تماهي الشاعر مع رمز الوطن،

وهموم شعبه، وتلاحمه معه، وحلوله معه، وصيرورتهما عند التحقيق شيئاً واحداً» (مرضية آباد ورسول بلاوي، ٢٠١٣م: ٨) فالسماوي يعادل بين العراق ودجلة حيث يستخدمها بدل العراق في شعره ويقول:

تَرَكتُ دِجلةُ يَعوِي فِي خَرائِبِهَا كَلبٌ وَتَمرَعُ ذِئبانٌ بِلا عَدَدِ
فَمَا جَلستُ إلى شطآنِها غَرِداً إلّا وَيَسبقُنِي نَحوَ العَذابِ
تَمَخَّضَ الرِّجسُ يَوماً في مرابِها فَلَيتَ صَبحةَ لَم تَخضَب وَلَم

(يحيى السماوي، قلبي على وطني، ١٩٩٢م: ١٨)

كما يذكر دجلة مع الفرات ويجعلهما معادلاً للعراق وينشد:

«**فَإلى الأَمَامِ إلى الأَمامِ/جِياعَ دِجلَةَ وَالفُراتِ إلى الأمامِ//زَحفاً عَلَى كَهفِ ابنِ صَبحَةَ/بِالقَنَادِرِ وَالحِجَارَةِ/بِالبَنادِقِ وَالسّحامِ**» (يحيى السماوي، الأفق نافذتي، ٢٠٠٤م: ١٨٢-١٨٤) السماوي في هذا المقطع الشعري يشير إلى دجلة والفرات ويسمّى الشعب العراقي بـ "جياع دجلة والفرات" تشجيعاً للثورة فإنّه أنشد هذه القصيدة قبيل إسقاط النظام البعثي حيث "ابن صبحة" يشير إلى صدام حسين الرئيس العراقي الذي اختفي في حفرة في الأرض حيث وُجد واعتقل هناك.

٣-٣- ترميز النخيلة

العراق بشكل مباشر والنخل كرمز من أبرز الكلمات التي يستخدمها السماوي في قصائده. فهو بتكرار كلمة العراق يهدف إلى أن يفصح عن الاشتياق المكنون في صدره وأن يعبّر عن أنّ العراق والحنين إليه يغلب على أحاسيسه بشدة (يحيى معروف ونورالدين پروين، ٢٠٠٤م: ١٧) «فإذا كان يحيى السماوي شاعراً مغترباً يحمل بين جوانحه هموم وطنه العراق، فمن يتصفّح دواوينه يرى مدى حبّه وشوقه إلى وطنه وطبيعته؛ وهذه الطبيعة امتزجت في روحه وخياله وقد اتّخذت منها وسيلة رمزية للتعبير عن أفكاره النضالية ورؤاه السياسية، كما إنّه وجد في الطبيعة رموزاً خصبة قادرة على التعبير والبوح بما يختلج في صدره» (رسول بلاوي وحسين مهتدي، ١٤٣٦ق: ١٨٨) لذلك فلا عجب في استخدام السماوي رمز النخيل بهذه الكثافة في شعره لأنّ «العراق تعتبر من أكبر الدول العربية غرساً للنخيل فهي رمز من رموز الطبيعة العراقية التي اختارها الشاعر عنواناً لديوانه "نقوش على جذع النخلة"؛ فقد عمد الشاعر في هذه المجموعة إلى نحت عنوان ذات الصبغة الإيحائية؛ فالنخل هنا هو العراق فهو مستمد من بيئة الشاعر الخاصة؛ لأن تعتبر العراق من أكبر الدول العربية غرساً للنخيل وهو حاضر في كلّ قصائد هذا الديوان، والنقوش هي الكلمات والآهات التي تطحن صدر الشاعر على جرح النخيل وتجسد مآسيه ودماره» (بهنام باقري والزملاء، ١٤:١٣٩٣)

الشاعر في ديوانه "هذه خيمتي فأين الوطن"يتناص مع الآية القرآنية **(وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيّاً)** (مريم/٢٥) وينشد قائلاً:

«رَأَيتُ نَخلَةً قَارِعَةَ الدَربِ/هَزَزتُها/فَانهَمَرَ الدَّمعُ عَلَى هُدَبي/وَعِندَما هَزَزتُ جِذعَ الأرضِ يا رَبّي/تَساقَطَ العِراقُ فِي قَلبِي» (يحيى السماوي، هذه خيمتي.. فأين الوطن؟ ١٩٩٧م: ٩)

فالشاعر هنا «لا يصوّر النخلة مشهداً طبيعياً بقدر ما يصوّر تأثيرها واقعاً نفسياً في وجدانه...مفردة النخلة في تجربة يحيى السماوي الشعرية إنزاحت عن معناها وهي الشجرة المعروفة لتغدو وهي مضافة إلى الزمان، ذات معنى آخر، لعلّه طول الدهر وتعاقب العصور؛ لأنّ من ينظر إلى النخلة دون شك يلفت نظره طولها وما في جذعها من علامات تعاقب الزمان» (رسول بلاوي وحسين مهتدي، ١٤٣٦ق: ١٩٠) فالنخيل هو العراق حسب رأيه عنيد أمام الظالمين والمحتلين ويعزّز أواصر الشعب في نضالهم المقدّس:

حاشَاكَ تَنثُرُ لِلغُزا وُرُوداً فَلَقَد خُلِقتَ كَمَا النَخِيلُ
لا زَالَ فِيكَ مِن الحُسَينِ تَأبَى الخُنُوعَ وَإن تُباح وَرِيدَا

(يحيى السماوي، نقوش على جذع نخلة، ٢٠٠٥م: ١٢)

«النخل هنا؛ مظهر من مظاهر الوطن، فقد جعل الشاعر من النخل رمزاً للشاعر العراقي بشموخه وكبريائه، ويوحي بالإصالة والصمود والمقاومة كما يستدعي الشاعر شخصية ذات رمزيّة بطوليّة، لها أثرها في تاريخ الإسلامي، والممثّل الحقيقي لكلّ دعوة نبيلة التي انطلقت وثارت على واقع الظالم وهي شخصية الإمام الحسين (عليه السلام)، والفكرة الرئيسة لهذه الإستدعاء تقوم على حثّ الشعب على الجهاد والبطولة والشجاعة» (بهنام باقري والزملاء، ١٣٩٣ش: ١٥)

فالنخيل العراقي دائماً يحثّه على الصمود والمقاومة أمام الظالمين قبل ٢٠٠٣م وأمام المحتلين وعملائهم بعده فهو يؤكد على هذا في قصيدته "جرح باتساع الوطن" قائلاً:

«وَالنَّخلُ سَيَبرأُ مِن أَعناقِهِ/فَأنحَني/أنا الّذِي أُرِيدُ أَن أَمُوتَ وَاقِفَاً كَنَخِيلِ العِراق!» (يحيى السماوي، جرح باتساع الوطن، ١٩٩٣م: ٦)

وهكذا «النخل العراقي يشارك في المقاومة ويصبح معادلاً للأهل ويصير رمزاً للصمود والنضال والشرف ورفض الإحتلال وإعادة الكرامة والعزة» (بهنام باقري والزملاء، ١٣٩٣:١٥) كما كان «الوطن عنده هو الأرض هو الحزن هو التضحية هو الأم هو الحبيبة هو الحلم هو الغربة و...» (يحيى معروف وبهنام باقري،

١٤٣٦ق: ٣٨٨) فعنده العراق والسماوة والنخيل رموز عراقية واحدة تجعله يقوم بالمستحيل:

«إذا كَفَّ الحَمَامُ عَن الهَدِيل/هَب أَنَّ مِفتاحِي سَيَفتَحُ قُفلَ بَابِ المُستَحِيل/أَتَكِفُّ عَن وَجَعِ التَّمَاهِي/بِالسَّمَاوَةِ وَالنَّخِيل؟» (يحيى السماوي، قليلك لا كثيرهن، ٢٠٠٧م: ١٢٠)

فهو يوازن بين السماوة مسقط رأسه والنخيل ويجعلهما العراق وأهله ثمّ في نفس الوقت يرفض تواجد الأمريكان في العراق والجرائم التي يرتكبونها والخراب والدمار الذي يمارسونه في أرض الوطن لذلك يسمّاهم حفنة من الخنازير التي تشتغل بقتل أبناء بلده والتي تطلق النار على الشعب العراقي المظلوم الذي يراهم نباتات إلهية نابتة في المحراب فالخنزير في شعر السماوي رمز المحتلين الأمريكيين الذين يُبيدون الناس في وطنه أرض النخيل حيث يقول:

«فِي وَطَنِ النَّخِيل/يَحِقُّ لِلخِنزِيرِ أَن يَحصُدَ بِالرَّصَاصِ/عُشبَ اللهِ فِي المِحرَاب/يَحِقُّ لِلمِدفَعِ أَن يَطرقَ كَلَّ بَاب/مَا دَامَ أَنَّ العَصرَ عَصرُ غَاب» (يحيى السماوي، نقوش على جذع نخلة، ٢٠٠٥م: ٥٣)

«ويذكر الشاعر النخيل في كثير من قصائده الذي يتميز بالصمود ورمزيته للطبيعة العراقية هي إستمرار التعلّق بالوطن ومشاركته في آلامه» (بهنام باقري والزملاء، ١٣٩٣ش: ١٤) كما إنّه عندما يريد أن يكتب قصيدته الأخيرة عن العراق يذكر النخل ويريد أن يكون قلمه عظيماً وبحجم نخلة لأنّ مفاخر العراق وتاريخه أكبر من أن يكتب بأقلام عادية حيث يقول:

«أُرِيدُ لِي عِشرِينَ يَدَاً.../وَوَرَقَةً بِمَسَاحَةِ غابَةٍ استُوائِيَة.../وَقَلَّما بِحَجمِ نَخلَة.../مَعَ بِئرٍ مِن حَبرٍ أَسوَد.../فَأَنا أُرِيدُ أَن أكتُبَ قَصِيدَتِي الأَخِيرَة/عَن العِراق» (يحيى السماوي، جرح باتساع الوطن، ١٩٩٣م: ٢٦)

هكذا «حبّ العراق عند السماوي يحمل دلالات غنيّة وثرّة، يعجز الدم عن إيصالها للملتقى. وإذا كان الدم يتّصل بالعلاقات الجيولوجية الخاصّة بالأسباب والقرابات فإنّ حبّ العراق صورة نموذجية تشترك بين جميع العراقيين الشرفاء. يبتدئ الشاعر يحيى السماوي مجموعته "لماذا تأخرت دهراً" بقصيدة يرثي بها الشهيد كامل شياع الذي أُغتيل على يد القوى الارهابية بمسدّس كاتم الصوت بطريقة جبانة» (رسول بلاوي ومرضية آباد، ١٤٣٥ش: ٤١) حيث يسمّيه السماوي ممّثل نخل العراق وناطقاً بإسم حُلم الكادحين والمقاومين العراقيين:

«كامِلٌ عائِدٌ مَا مَاتَ كامِل/كامِلٌ انتَدَبَتهُ دِجلَةُ لِلخُلُودِ/مُمَثِّلاً نَخلَ العِراقِ/وَناطِقَاً بِاسمِ الطُّفُولَةِ بِاسمِ حُلمِ الكَادِحِين.../وَالنّاهِظِينَ إلى الصَّباحِ وَناسِجِي ثَوبَ المَحَبَّةِ/مِن حَرِيرِ الياسَمِين/بِاسمِ الحُسَينِ وَبِاسمِ مُوسَى/وَابنِ مَريمَ بِاسمِ كُلِّ الطَّيِّبِين» (يحيى السماوي، لماذا تأخرت دهراً، ٢٠١٠م: ٧)

فالسماوي ينشد أولاً وأخيراً للعراق وطنه الجريح وكلّ رموزه يعادل عنده العراق لأنّه مثل وطنه يفهمان ضياعهما وتشرّدهما وآلامهما وهمومهما بعضهما بعضاً فينشد في قصيدة "جرح باتساع الوطن":

إذا قِيلَ العِراقُ: وَضَعتُ عَلَى قَلبِي وَيخنقُنِي النَّحِيبُ
كأَنّي قَد شَدَدتُ لِرَحِم أمِّي بِسَعفِ نَخِيلِ دِجلَةَ يا عَذُوبُ
وَمَا نكرَ العِراقُ هَواي، لكِن تنكرَ لِي وَلِلوَطَن المَهِيبُ
وإن غَدَاً لِناظِرِهِ بَعِيدٌ إذا صَمَتَ المُفَكرُ وَالخَطِيبُ

(يحيى السماوي، جرح باتساع الوطن، ١٩٩٣ش: ٨٢)

وآخر مطالبه أن يقاوم العراق وشعبه أمام الأجانب المحتلين مقاومة مشروعة وألا يستسلمون أمامهم لأنّه في نفس الوقت الذي يحرّض الناس ضدّ النظام البعثي قبل إسقاطه كذلك يحرّض الناس ضدّ القوات الأمريكية المحتلة بعد إسقاطه كي يحقق السلام والأمن على يد أبناء العراق الصالحين فهو في قصيدة "أخرجوا من وطني" يتناص مع آية (ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ) (الحجر/٤٦) ويقول:

«هذِهِ الأَرضُ التي نَعشِقُ/لا تُنبِتُ وَردَ الياسَمِين/لِلغُزاةِ الطّامِعِين/وَالفُراتُ الفَحلُ/لا يَنجِبُ زِيتُونَاً وَتِين/فِي ظِلالِ المَارِقِين/فَأخرجُوا مِن وَطَنِي المَذبُوح/شَعبَاً وَأنهارَاً وَتِين/وَأتركُونَا بِسَلامٍ آمِنِين» (يحيى السماوي، نقوش على جذع نخلة، ٢٠٠٥م: ٧و٨)

كما يكرّر نفس الفكرة لأنّه لا فرق عنده بين الاستبداد البعثي (الخنزير/الطاعون/الموت) والاستعمار الأمريكي (الذئب/السلّ/الجُذام) فكلاهما وجهان لعملة واحدة لذلك فهو يطالب بخروج المحتلين بإلحاح قائلاً:

«أَخرِجُوا مِن وَطَنِي المَذبُوحِ شَعبَاً/وَبَساتِين../وَأَنهارَاً.. وَطِين/وَاترِكونَا بِسَلامٍ آمِنِين/نَحنُ لانَستَبدِلُ الخِنزِيرَ بِالذِّئبِ/وَلا الطَّاعُونَ بِالسِّلِ/وَمَوتَاً بِالجُذامِ/فَأَخرِجُوا مِن وَطَنِي» (يحيى السماوي، قليلك لا كثيرهن، ٢٠٠٧م: ٧-٨)

٤- الخاتمة

يحيى السماوي من كبار الشعراء العراقيين المعاصرين والذي بذل حياته وشعره للمقاومة أمام المستبدين والمستعمرين والذود عن حياض وطنه الحبيب العراق فإنّه يحبّ وطنه كثيراً ويحنّ إليه وهو بعيد عنه بسبب أنشطته وموقفه السياسيين كما إنّه شاعر متجدّد

قدّم بمزجه الواقعية والعصرية شكلاً فريداً للشعر مؤثراً على الأدب العراقي المعاصر له ميزاته الخاصة والفريدة فإنّ كون الشاعر كمحلّل سياسي يطلع إطلاعاً واسعاً على القضايا السياسية في المنطقة والعالم أثّر أثراً مباشراً واضحاً على قصائده حيث أبعدها عن السذاجة المعنوية والعواطف العابرة. حيث ركز على موطنه العراق وقضاياه وشعبه. فلذلك العراق كمولد ومنشأ كشخصية رئيسية في جميع قصائده يؤدي دوراً هاماً حيث المضمون الرئيس لغالبية أشعاره هو موطنه العراق وقضاياه. فابتعاد الشاعر عن وطنه والإقامة في مختلف الدول وتحمّل صعوبات الغربة وحس الإغتراب في المنفى أثّر كلّه تأثيراً بارزاً في صدق عاطفة هذا الشاعر المقاوم الذي لم تُبعده غربته عن العراق وقضاياه بل ابتعاده هذا زاد من وطنيته والحنين إلى وطنه العراق والتحدّث عن قضاياه وآلام وآمال شعبه. حيث استطاع أن يستخدم الرموز العراقية المؤثرة لتعزيز العلاقات المعنوية بينه وبين الشعب بأحسن وجه ممكن. كما أنّه من الرموز العراقية الأكثر وروداً في شعره والنخيل والمدن العراقية خاصة بغداد والأنهار العراقية لا سيما دجلة والفرات. كما أنّ ثنائية الوطن والمنفى تتراءى لنا بوضوح في شعره ولكنه بسبب عمق حبّه وحنينه إلى الوطن لم نر أي أثر سلبي لها تجاه الوطن كما نشاهد رفضه لمثلث يراه عبئاً للعراق وعائقاً لشعبها أمام التقدّم واستتاب الأمن والاستقرار والمثلث هو النظام الصدامي الظالم المستبد، والمحتلون الأجانب وعملاؤهم الخونة، والإرهابيون التكفيريون؛ فإنّهم على حد رأيه سواء لا فرق بينهم لأداء الدور التخريبي تجاه وطنه كما يطالب بوحدة الشعب العراقي صوتاً واحداً أمام هؤلاء ويلحّ بشكل خاص على طرد المحتل الأجنبي الأمريكي من أرض وطنه الطاهرة.

مصادر البحث ومراجعه:

- **القرآن الكريم**
- بهنام باقري والزملاء: جهانگير اميرى وهادى جاهد، *استخدام الرموز في شعر يحيى السماوي*، مجلة دراسات الأدب المعاصر، السنة ٦، العدد: ٢٣، ١٣٩٣ش، صص ٩-٢٦.
- حامد الغرباوي، *تجليات الحنين في تكريم الشاعر يحيى السماوي*، الجزء٢، دمشق: دار الينابيع، ٢٠١٠م.
- حسام التميمي، *الخليل في شعر عزالدين المناصرة*، مجلة النجاح للأبحاث، المجلد ١٦، ٢٠٠٢م.
- حسن فتح الباب، *قراءة في ديوان هذه خيمتي فأين الوطن للشاعر يحيى السماوي*، مقال منشور في كتاب «تجليات الحنين في تكريم الشاعر يحيى السماوي»، ج٢، دمشق: دار الينابيع، ٢٠١٠م.

- حسين سرمك، *اشكاليات الحداثة في شعر الرفض والرثاء يحيى السماوي نموذجاً*، دمشق: دار الينابيع، ٢٠١٠م.
- حنا الفاخوري، *تاريخ الأدب العربي*، قم: ذوي‌القربى، ١٣٩١ش.
- خالدة علي فليح حسن الكعبي، *"المكان فاعلاً شعرياً عند يحيى السماوي"*، مجلة أوروك للعلوم الإنسانية، المجلد١٢، العدد٢، ٢٠١٩م، صص١٧٤٥-١٧٦٠.
- خضير عباس درويش، *ديوان الشاعر يحيى السماوي قليلك لا كثيرهن دراسة موضوعية تحليلية*، مجلة العلوم الإنسانية جامعة بابل العراقية، المجلد١، العدد٢٠، ٢٠١٤م، صص١٨-٣٦.
- رسول بلاوي والزملاء: علي خضري ومرضيه آباد، *موتيف استدعاء الشخصيات التراثية في شعر يحيى السماوي*، مجلة الأدب العربي، العدد١، السنة٦، ربيع وصيف ١٣٩٣ش.
- رسول بلاوي وحسين مهتدي، *الرموز الطبيعية ودلالاتها في شعر يحيى السماوي*، مجلة اللغة العربية وآدابها، السنة ١١، العدد٢، صيف ١٤٣٦ق، صص ١٨٥-٢٠٩.
- رسول بلاوي ومرضيه آباد، *استدعاء المدن في شعر يحيى السماوي*، فصلية النقد والأدب المقارن (دراسات اللغة العربية وآدابها)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة رازي بكرمانشاه، إيران، السنة٢، العدد٦، ١٣٩١ش/٢٠١٢م، صص١٢١-١٣٦.
- رسول بلاوي ومرضيه آباد، *استدعاء شخصية الإمام الحسين (ع) في شعر يحيى السماوي*، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، العدد ٢٧، صيف ١٣٩٢ش/٢٠١٣م، صص١-١٦.
- رسول بلاوي ومرضيه آباد، *ملامح المقاومة في شعر يحيى السماوي*، مجلة آفاق الحضارة الإسلامية، آكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية الإيرانية، السنة ١٤، العدد١، ربيع وصيف ١٤٣٥ق، صص ١٩-٤٩.
- عبدالأحد غيبي وليلا جباري، *يحيى السماوي مظهر مقارعة الأمريكان في شعر العراقي المعاصر*، فصلية نقد الأدب العربي المعاصر، السنة٤، المسلسل٨، ١٣٩٣ش.
- عصام شرتح، *آفاق الشعرية: دراسة في شعر يحيى السماوي*، ط١، سورية: دار الينابيع، ٢٠١١م.
- فاطمة القرني، *الشعر العراقي في المنفى السماوي نموذجاً*، ط١، الرياض: مؤسسة اليمامة الصحيفة، ٢٠٠٨م.
- فاطمه رجبي سمنگاني، *الاقتباس من القرآن في ديواني: شاهدة قبر من رخام الكلمات ونقوش على جذع نخلة ليحيى السماوي*، بإشراف: يحيى معروف، أطروحة ماجستير

في اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة رازي بكرمانشاه، إيران، ١٣٩٢ش.

- محسن غلامحسن كهوري، *"الرموز التراثية في شعر يحيى السماوي"*، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، المجلد١٦، العدد٣، ٢٠١٣م، صص٢٤٧-٢٧٠.
- محمد بن سلام الجمحي، *طبقات الشعراء*، ج١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م.
- محمد جاهين بدوي، *تجربة العشق والاغتراب في ديوان قليلك لا كثيرهن*، دمشق: دار الينابيع، ٢٠١٠م.
- مرضية آباد ورسول بلاوي، *موتيف النهر والبحر في شعر يحيى السماوي*، مجلة العلوم الإنسانية الدولية، العدد ٢٠ (١)، ٢٠١٣م، صص: ١-١٨.
- يحيى معروف وبهنام باقري، *المعجم الشعري عند يحيى السماوي ديوان نقوش على جذع نخلة نموذجاً*، مجلة اللغة العربية وآدابها، السنة ١١، العدد٢، صيف ١٤٣٦ق، صص ٣٢٩-٣٦٥.
- يحيى معروف ونورالدين پروين، *دراسة جمالية التكرار في ديوان قليلك لا كثيرهن ليحيى سماوي*، مجلة إضاءات نقدية، السنة ٤، العدد ١٦، ٢٠١٤م، صص٩-٣١.
- يحيي السماوي، *الأفق نافذتي*، استراليا اديلاند، ٢٠٠٤م.
- يحيي السماوي، *جرح باتساع الوطن*، جدة: منشورات عبدالمقصود سعيد خوجه، ١٩٩٣م.
- يحيي السماوي، *زنابق برية*، استراليا، ٢٠٠٣م.
- يحيي السماوي، *قلبي على وطني*، بغداد، ١٩٩٢م.
- يحيي السماوي، *قليلك لا كثيرهن*، الطبعة الثانية، جدة: منشورات عبدالمقصود محمد سعيد خوجة، ٢٠٠٧م.
- يحيي السماوي، *لماذا تأخرت دهراً*، دمشق: دار الينابيع، ٢٠١٠م.
- يحيي السماوي، *نقوش على جذع نخلة*، استراليا: منشورات مجلة كلمات، سيدني، ٢٠٠٥م.
- يحيي السماوي، *هذه خيمتي.. فأين الوطن؟*، ط١، ملبورن استراليا، مطبوعات R.Mgregory، ١٩٩٧م.

References and sources

- The Holy Quran
- Behnam Bagheri, Jahangir Amiri, Hadi, Jahed (2014). The Use of Symbols in the Poetry of Yahya al-Samawi. Journal of Research on Contemporary Literature. *6*(23) pp. 9-26.
- Hamed Al-Gharbawi (2010). Manifestations of Eagerness in a Commemoration of Yahya Al-Samawi. vol. 2, Damascus: Dar Al-Yanabei.

- Hossam Al-Tamimi (2002). Al-Khalil in the Poetry of Izzedine Al-Munassarah. Journal of Al-Nijjah, vol. 16.
- Ḥasan Fatḥ al-Bāb (2010). A Reading of the This is My Tent so Where is Home Poetry Book by Yahya Al-Samawi. A paper published in the proceedings of Manifestations of Eagerness in a Commemoration of Yahya Al-Samawi. vol. 2, Damascus: Dar Al-Yanabei.
- Hossein Sarmak (2010). Challenges of Modernism in the Poetry of Protest and Grief: A Case Study of Yahya Al-Samawi. Damascus: Dar Al-Yanabei.
- Hana Al-Fakhouri (2012) History of Arabic Literature. Qom: Zovi al-Qirbi.
- Khaledah Ali Folaih Hasan Al-Kabi (2019). Place, a Recurrent Poetic Element in the Poetry of Yahya Al-Samawi. Uruk Journal of Humanities, *12*(2), pp. 1745-1760.
- Khozair Abbas Darwish (2014). A Content Analysis of Yahya Al-Samawi's A Little Bit of You, Not Much of Them. Iraqi Babol University Journal of Humanities, *1*(20) pp. 18-36.
- Rasool Bolawi, Ali Khezri, & Marzieh Abad (2014). The Motif of Invocation of Ancestral Characters in the Poetry of Yahya Al-Samawi. Journal of Arabic Literature, *1*(6), Spring and Summer of 2014.
- Rasool Bolawi & Hossein Mohtadi (2015). Symbols of Nature and their Implications in the Poetry of Yahya Al-Samawi. Journal of Arabic Language and Literature, *11*(2) pp. 185-209.
- Rasool Bolawi & Marzieh Abad (2012). Invocation of Cities in the Poetry of Yahya Al-Samawi. Journal of Criticism and Comparative Literature (Arabic Language and Literature Research Journal). School of Humanities, Razi University of Kermanshah, *2*(6), pp. 121-136.
- Rasool Bolawi & Marzieh Abad (2013). Invocation of the Imam Hussain's Character in the Poetry of Yahya Al-Samawi. Iranian Club of Arabic Language and Literature, no. 27, pp. 1-16.
- Rasool Bolawi & Marzieh Abad (2014). Symbols of Resistance in the Poetry of Yahya Al-Samawi. Journal of Ofogh-hayeh Tamadon Eslami, Iranian Humanities and Cultural Studies Institute, *14*(1), pp. 19-49.
- Abd Al-Ahad Ghaibi & Leila Jabbari (2014). Yahya Al-Samawi, the Embodiment of Anti-Americanism in Contemporary Iraqi Poetry. Quarterly Journal of Contemporary Reviews, *4*(8).
- Esam Sherteh (2011). Poetic Horizons: A Study of Yahya Al-Samawi's Poetry. Ed. 1, Syria: Dar Al-Yanabei.
- Fatemah Al-Gharani (2008). Iraqi Poetry of Exile: A Case of Yahya Al-Samawi. Ed. 1, Riyadh: Al-Yamama Publications.
- Fatemeh Rajabi Samangani (2013). Adaptation from the Quran in two Poetry Books by Yahya Al-Samawi: Inscriptions on the Trunk

of a Palm Tree and A Gravestone Made of Words of Marble. An Arabic language and literature master's thesis supervised by Yahya Maroof, Razi University of Kermanshah, School of Literature and Humanities.

- Mohsen Gholam Hasan Kahoori (2013). Symbols of Legacy in the Poetry of Yahya Al-Samawi. Al-Ghadesieh Journal of Humanities, *16*(3) pp. 247-270.
- Mohammed bin Sallâm al-Jumahî (2001). Classes of Poets. Ed. 1. Beirut: Dar al-Kitab al-Elmieh.
- Mohammed Jaheen Badawi (2010). Love and Homesickness in A Little Bit of You, Not Much of Them. Damascus: Dar Al-Yanabei.
- Marzieh Abad & Rasool Bolawi (2013). The Themes of River and Sea in the Poetry of Yahya Al-Samawi. International Journal of Humanities, *20*(1), pp. 1-18.
- Yahya Maroof & Behnam Bagheri (2015). Poetic Vocabulary of Yahya Al-Samawi: A Case of Inscriptions on a Palm Tree. Journal of Arabic Language and Literature. *11*(2), pp. 329-365.
- Yahya Maroof & Nour al-din Parwin (2014). An Aesthetic Review of Repetition in Yahya Al-Samawi's A Little Bit of You, Not Much of Them. Journal of Partowhayeh Naghdi, *4*(16), pp. 9-31.
- Yahya Al-Samawi (2004). The Horizon is My Window. Australia, Adelaide.
- Yahya Al-Samawi (1993). A Word as Big the Homeland. Jeddah: Abd al-Maghsood Saeed Khaja Publications.
- Yahya Al-Samawi (2003). Wild Lilies. Australia.
- Yahya Al-Samawi (1992). My Heart is Fixed on My Country. Iraq.
- Yahya Al-Samawi (2007). A Little Bit of You, Not Much of Them. Ed. 2. Jeddah: Abd al-Maghsood Saeed Khaja Publications.
- Yahya Al-Samawi (2010). Why so Late. Damascus: Dar Al-Yanabei.
- Yahya Al-Samawi (2005). Inscriptions on the Trunk of a Palm Tree. Sydney, Australia: Majala Kalamat Publications.
- Yahya Al-Samawi (1997). This is My Tent: Where is My Home? Ed 1. Melbourne, Australia: R. McGregory Publications.

Patriotism and the Image of Iraq and Its Symbols in the Poetry of Yahya al-Samawi

Mehdi Shahrokh
Assistant Professor of Arabic Language and Literature, University of Mazandaran, Babolsar, Iran' Corresponding Author's Email: m.shahrokh@umz.ac.ir
Soleiman Sadat Eshkevar
Assistant Professor of Persian Language and Literature, Islamic Azad University, Dehdasht Branch, Dehdasht, Iran, Email: sadatsoliman@gmail.com
Ali Babaei damtasoj
Lecturer in Yasuoj University, Yasuoj, Iran, Email: babaei.ali88@yahoo.com

Abstract

Every literary scholar usually draws the elements of thought and emotion, either joyful or sad, from their homeland. The resistance poet, Yahya Al-Samawi, was born and raised in Iraq and so felt the troubled political and security conditions of his country firsthand. Therefore, his poetry is purely patriotic, which encouraged his fellow countrymen to revolt against the regime of Saddam Hussain before its fall in 2003 and against the foreign occupiers after that. This paper relies on the descriptive-analytical methodology to investigate patriotism, the image of Iraq and its implications in the poetry of Al-Samawi. The results of the study show that Iraq as his homeland is the first reason for the poet to write protest and political poetry. This has given his nationalist poetry genuine sentiments, where the poet calls out from the bottom of his heart to portray his homeland Iraq and to reflect his people's woes, sorrows and afflictions. As a result, his poetry is replete with Iraqi symbols, by virtue of which, he attempts to uncover the political conspiracies by the tyrannical regime and foreign colonizers. Symbols such as the palm tree, famous cities of Iraq such as Baghdad, the Tigris and the Euphrates, and great historical characters and legacies such as Imam Hussain (AS) the symbol of revolution against tyrannies, are very frequent in his poetry. Despite the dichotomy found in his poetry due to his patriotic sentiments and his longing for the homeland on the one hand, and his life in exile on the other hand, his genuine affection for his homeland has not been negatively affected.

Keywords: Iraq, Patriotism, yahya Al-Samawi, Iraqi symbols.